دروس من القرآن

الدرس الأول
التوحيد في القرآن الكريم

١ - أهمية التوحيد وعاقبة الإعراض عنه

قد يقول قائل - وقد قيل هذا - ما بالكم دائما تتمون بالتوحيد وتكثرون الكلام فيه ؟ ! ولا تتناولون قضايا المسلمين في الوقت الحاضر ، الذين يقتلون ويشردون في الأرض وتلاحقهم دول الكفر في كل مكان .

فنقول وبالله التوفيق :

التوحيد هو الأصل الذي بنيت عليه الملة الحنيفية ؛ فالاهتمام به اهتمام بالأصل ، وإذا تدبرنا القرآن الكريم وجدنا أنه بين التوحيد تبيانا كاملا ، حتى إنه لا تخلو سورة من سور القرآن إلا وفيها تناول للتوحيد ، وبيان له ونهى عن ضده . وقد قرر الإمام ابن القيم - رحمه الله - أن القرآن كله في التوحيد ؛ لأنه إما إخبار عن الله وأسمائه وصفاته ، وهذا هو التوحيد العلمي الذي هو توحيد الربوبية ، وإما أمر بعبادة الله وحده لا شريك له ونهي عن الشرك ، وهذا هو التوحيد العملي الطلبي وهو توحيد الألوهية ، وإما أمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ونهي عن معصية الله ومعصية رسوله ﷺ وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته .

وإما إخبار عما أعد الله للموحدين من النعيم والفوز والنجاة والنصر في الدنيا والآخرة ، أو إخبار عما حل بالمشركين من النكال في الدنيا والآخرة ، أو إخبار عما حل بالمشركين من النكال في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة من العذاب الدائم والخلود المؤبد في جهنم ، وهذا فيمن حقق التوحيد ، وفيمن أهمل التوحيد [١] .

إذن فالقرآن كله يدور على التوحيد . وأنت إذا تأملت السور المكية تجد غالبها في التوحيد ؛ لأن النبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد وينهى عن

(١) انظر : مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٤٦٨/٣) بتصرف .

الشرك . ما نزلت عليه أغلب الفرائض من زكاة وصيام وحج وغير ذلك من أمور الحلال والحرام ، وأمور المعاملات ، ما نزل هذا إلا بعد الهجرة في المدينة ، إلا الصلاة فقد فرضت عليه في مكة ليلة المعراج حين أسري به ﷺ [1] ولكن كان هذا قبيل الهجرة بقليل .

ولذلك كان غالب السور المكية التي نزلت على النبي ﷺ قبل الهجرة ، كلها في قضايا التوحيد ، مما يدل على أهميته ، وأن الفرائض لم تـ ل إلا بعد أن تقرر التوحيد ، ورسخ في النفوس ، وبانت العقيدة الصحيحة ؛ لأن الأعمال لا تصح إلا بالتوحيد ، ولا تؤسس إلا على التوحيد .

وقد أوضح القرآن أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - أول ما يبدءون دعوتم بالدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء ، قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [3] ، وكل نبي يقول لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [4] ، ها هو شأن الرسل البداءة بالتوحيد .

وكذلك أتباع الرسل من الدعاة والمصلحين أول ما يهتمون بالتوحيد ؛ لأن كل دعوة لا تقوم على التوحيد فإنا دعوة فاشلة ، لا تحقق أهدافها ، ولا تكون لها نتيجة . كل دعوة تمش التوحيد ولا تتم به ؛ فإنا تكون دعوة خاسرة في نتائجها . وهذا شيء مشاهد ومعروف .

---

(١) كما في حديث الإسراء المتواتر ، ومن آحاده الحديث المتفق عليه عن أنس : البخاري : كتاب التوحيد ، باب (٣٧) ، رقم (٧٥١٧) ، (٥٨٣/١٣) . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (٧٤) ، رقم (١٦٢) .

(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

وكل دعوة تركز على التوحيد فإنا تنجح بإذن الله وتثمر وتفيد التمع ، كما هو معروف من قضايا التاريخ .

ونحن لا نمل قضايا المسلمين بل نتم با ، ونناصرهم ونحاول كف الأذى عنهم بكل وسيلة ، وليس من السهل علينا أن المسلمين يقتلون ويشردون ، ولكن ليس الاهتمام بقضايا المسلمين أننا نبكي ونتباكى ، ونملأ الدنيا بالكلام والكتابة ، والصياح والعويل ؛ فإن هذا لا يجدي شيئا .

لكن العلاج الصحيح لقضايا المسلمين ، أن نبحث أولا عن الأسباب التى أوجبت هذه العقوبات التي حلت بالمسلمين ، وسلطت عليهم عدوهم .

ما السبب في تسلط الأعداء على المسلمين ؟

حينما ننظر في العالم الإسلامي ، لا نجد عند أكثر المنتسبين إلى الإسلام تمسكا بالإسلام ، إلا من رحم الله ، إنما هم مسلمون بالاسم ؛ فالعقيدة عند أكثرهم ضائعة : يعبدون غير الله ، يتعلقون بالأولياء والصالحين ، والقبور والأضرحة ، ولا يقيمون الصلاة ، ولا يؤتون الزكاة ، ولا يصومون ، ولا يقومون بما أوجب الله عليهم ، ومن ذلك إعداد القوة لجهاد الكفار ! ! هذا حال كثير من المنتسبين إلى الإسلام ، ضيعوا دينهم فأضاعهم الله عز وجل .

وأهم الأسباب التي أوقعت بم هذه العقوبات هو إهمالهم للتوحيد ، ووقوعهم في الشرك الأكبر ، ولا يتناهون عنه ولا ينكرونه ! من لا يفعله منهم فإنه لا ينكره ؛ بل لا يعده شركا . كما يأتي بيانه إن شاء الله . فهذه أهم الأسباب التي أحلت بالمسلمين هذه العقوبات .

ولو أنم تمسكوا بدينهم ، وأقاموا توحيدهم وعقيدتم على الكتاب والسنة ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولم يتفرقوا لما حل بم ما حل قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ

وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [1] ، فبين أنه لا يحصل النصر للمسلمين إلا بهذه الركائز التي ذكرها الله - سبحانه وتعالى - وهي : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وأين هذه الأمور في واقع المسلمين اليوم ؟ أين الصلاة عند كثير ممن يدعون الإسلام ؟!

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾ [2] لكن أين الشرط لهذا الوعد ؟ ﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ ﴾ [3] فبين أن هذا الاستخلاف وهذا التمكين لا يتحقق إلا بتحقق شرطه الذي ذكره وهو عبادته وحده لا شريك له ، وهذا هو التوحيد ، فلا تحصل هذه الوعود الكريمة إلا لمن حقق التوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ، وعبادة الله تدخل فيها الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وجميع الطاعات .

ولم يقل سبحانه : يعبدونني فقط بل أعقب ذلك بقوله : ﴿ لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ ﴾ [4] ؛ لأن العبادة لا تنفع مع وجود الشرك ، بل لا بد من اجتناب الشرك أيا كان نوعه ، وأيا كان شكله ، وأيا كان اسمه . وهو : " صرف شيء من العبادة لغير الله عز وجل " .

هذا هو سبب النجاة والسلامة والنصر والتمكين في الأرض ، صلاح العقيدة وصلاح العمل . وبدون ذلك فإن العقوبات والنكبات ، والمثلات قد تحل بمن أخل بشيء مما ذكره الله من القيام بهذا الشرط ، وهذه النكبات ، وهذا التسلط من الأعداء سببه إخلال

(١) سورة الحج الآيتان : ٤٠، ٤١ .
(٢) سورة النور آية : ٥٥ .
(٣) سورة النور آية : ٥٥ .
(٤) سورة النور آية : ٥٥ .

المسلمين بهذا الشرط وتفريطهم في عقيدتهم ودينهم ، واكتفاؤهم بالتسمي بالإسلام فقط .

٢- معنى التوحيد

إذن ما التوحيد الذي هذه أهميته ، وهذه مكانته ؟

التوحيد : مأخوذ من وحد الشيء إذا جعله واحدا ، والواحد ضد الاثنين والثلاثة فأكثر ، فحاصله أنه ضد الكثرة فالشيء الواحد هو الشيء المستقل المتوحد الذي لا يشاركه غيره .

وأما في الشرع فالتوحيد هو : " إفراد الله بالعبادة " بمعنى : أن تجعل العبادة كلها لله عز وجل : ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [(١)] ؛ بدليل قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(٢)] ، وقوله - تعالى - : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [(٣)] ، وقوله - تعالى - : ﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [(٤)] .

هذا هو التوحيد في الشرع : إفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه .

٣- أنواع التوحيد

التوحيد : أنواع ثلاثة مستقرأة من كتاب الله عز وجل . وليس تقسيم التوحيد إلى ثلاثة جاء من قبيل الرأي ، أو من قبيل الاصطلاح ، وإنما هو مستقرأ من كتاب الله عز وجل .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٣٩ .
(٢) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٣) سورة النساء آية : ٣٦ .
(٤) سورة غافر آية : ١٤ .

النوع الأول : توحيد الربوبية وهو : " إفراد الله جل وعلا بأفعاله " ، من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور ، فيعتقد المرء أن الله وحده الخالق الرازق المدبر الحي الذي لا يموت .

النوع الثاني : توحيد الألوهية وهو : " إفراد الله - جل وعلا - بأفعال العباد " ، التي يتقربون بها إليه - سبحانه وتعالى - : كالدعاء والخوف والرجاء والرهبة والرغبة والتوكل والاستقامة والاستغاثة والذبح والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة . فيجب أن تكون العبادة بجميع أنواعها لله - سبحانه - لا يصرف منها شيء لغير الله . هذا هو توحيد العبادة ، أو توحيد الألوهية ، وهو التوحيد العملي ، وهو توحيد الطلب والقصد وتوحيد الطاعة .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات ، وهو : " الإيمان بما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات " .

هذه أنواع التوحيد مستقرأة من كتاب الله عز وجل . فكل آية في القرآن تتحدث عن أفعال الله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور فهي في توحيد الربوبية ، وهذا كثير في القرآن ، قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (1) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (2) .

---

(١) سورة المؤمنون الآيات : ٨٤، ٨٩ .

(٢) سورة يونس آية : ٣١ .

وهكذا كل آية فيها ذكر خلق السماوات والأرض ، وخلق المخلوقات ، فإن هذا في توحيد الربوبية .

وكل آية فيها ذكر العبادة ؛ بأن تتحدث عن الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك ، فإن هذا في توحيد الألوهية .

وكل آية تتحدث عن أسماء الله وصفاته ، فإن هذا في توحيد الأسماء والصفات .

فكل هذه الأنواع في كتاب الله ، ولذلك قال العلماء : التوحيد ثلاثة أقسام : توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

ما جاءوا بذا من عندهم ، وإنما استقرءوه من كتاب الله - سبحانه وتعالى - ، وسيأتي لهذا زيادة بيان إن شاء الله [(١)] .

٤- التوحيد عند المتكلمين

هناك من يقول : التوحيد نوع واحد فقط ، وهو توحيد الربوبية وهو : الاعتراف بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ، إلى آخر ما جاء من أفعال الله وصفاته جل وعلا . وعلى هذا جميع علماء الكلام والنظار الذين بنوا عقيدتهم على علم الكلام . عقائدهم موجودة ، وإذا قرأت في كتبهم لا تجد فيها إلا إثبات توحيد الربوبية ، فمن اعترف به عندهم فهو الموحد وليس عندهم توحيد الألوهية ولا توحيد الأسماء والصفات ، ولذلك لا يعدون عبادة القبور ودعاء الأموات شركا ، وإنما يقول أماثلهم : هذا توجه لغير الله ، وهو خطأ . ولا يقولون : هذا شرك .

وبعضهم يقول : إن هؤلاء الذين يدعون الأموات ، ويستغيثون بالمقبورين ليسوا بمشركين ؛ لأنهم لا يعتقدون أن هؤلاء الأموات أو هذه المعبودات تخلق وترزق وتدبر مع الله ، فما داموا لم يعتقدوا ذلك فإنهم ليسوا مشركين ، ولا يعد عملهم هذا شركا . وهو إنما اتخذوا هذه الأشياء وسائل وسائط بينهم وبين الله ، شفعاء .

---

(١) انظر ص (٢٠) من هذا الكتاب .

هذه مقالتهم ، كما قال المشركون من قبل : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (١) وقال - تعالى - عنهم : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٢) .

ويقول علماء الكلام : إن عبادة القبور والتعلق بالأموات والاستغاثة بهم ليس بشرك ، وإنما هي توسل ، وطلب للشفاعة ، واتخاذ وسائط إلى الله عز وجل . ولا يكون شركا ؛ إلا إذا اعتقدوا أن هذه الأشياء تخلق وترزق وتدبر مع الله ﷻ ! !

هذا يصرحون به في كتبهم وفي كلامهم .

والذي ينكر من أهل الكلام على من يقع في هذا الأمر يقول : هذا من باب الخطأ ، وهؤلاء جهال وقعوا في هذا الجهل لا عن قصد ؛ بل لجهلهم .

لكن الأكثر لا ينكرون عليهم ؛ بل يقولون : هذا اتخاذ وسائط وشفعاء عند الله ﷻ وليس شركا .

وأنا لم أتقول على القوم شيئا لم يقولوه ؛ بل هذا موجود في كتبهم التي ردوا بها على أهل التوحيد ، ودافعوا بها عن أهل الشرك .

وأما الأسماء والصفات فإثباتها عندهم يقتضي التشبيه ، فنفوها عن الله ﷻ وهؤلاء هم : الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ، كلهم نفوا توحيد الأسماء والصفات ، تنزيها لله - بزعمهم - عن مشابهة المخلوقين ، فصار التوحيد منحصرا عندهم في توحيد الربوبية فقط ، وليس عندهم توحيد الألوهية ولا توحيد الأسماء والصفات .

وينكرون على من يقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، حتى إن كاتبا عصريا منهم يقول : تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام هو من التثليث ! بلغت الوقاحة به إلى أن يشبهه بدين النصارى . والعياذ بالله .

---

(١) سورة الزمر آية : ٣ .

(٢) سورة يونس آية : ١٨ .

٥- الخطأ في تقسيم التوحيد

ومن المعاصرين من يقسم التوحيد إلى أربعة أقسام ، فيقول : التوحيد أربعة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الحاكمية . ويستند في هذا إلى أن التقسيم اصطلاحي ، وليس توقيفيا ، فلا مانع من الزيادة على الثلاثة .

ويقال لهذا : ليس التقسيم اصطلاحيا ، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكتاب والسنة . والسلف حينما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكتاب والسنة .

أما الحاكمية فهي حق . يجب أن يكون التحاكم إلى شرع الله ﷻ لكن هذا داخل في توحيد العبادة لأنه " طاعة الله ﷻ " ، السلف ما أهملوا توحيد الحاكمية حتى يأتي واحد متأخر فيضيفه ، بل هو عندهم داخل في توحيد العبادة " توحيد الألوهية " ! لأن من عبادة الله - جل وعلا - طاعته بتحكيم شرعه ، فلا يجعل قسما مستقلا . وإلا لزم من ذلك أن تجعل الصلاة قسما من أقسام التوحيد ، وتجعل الزكاة قسما ، والصيام قسما ، والحج قسما ، وكل أنواع العبادة أقساما للتوحيد ، ويجعل التوحيد أقساما لا نهاية لها ! وهذا غلط . بل أنواع العبادة كلها تندرج تحت قسم واحد وهو توحيد الألوهية ، فإنه جامع لها مانع من دخول غيرها معها .

ومنهم من يزيد على الأقسام الأربعة قسما خامسا ويسميه : اتباع الرسول ﷺ . وهذا غلط . فاتباع الرسول ﷺ حق ولا بد منه ، لكن اتباع الرسول ﷺ من لوازم التوحيد ، ولذلك لا تصح شهادة : أن لا إله إلا الله ، إلا بشهادة أن محمدا رسول الله .

فمن لازم الشهادة لله بالتوحيد الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة ، وهذا من لوازم التوحيد وليس قسما مستقلا من أقسام التوحيد . ومخالف التوحيد يقال له مشرك أو كافر . ومخالف المتابعة يكون مبتدعا .

هذه أقوال المخالفين لأهل السنة في تقسيم التوحيد وهم بين مفرط ومفرط .

المفرط هو : الذي زاد على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام .

والمفرط هو : الذي اقتصر على نوع واحد وأهمل البقية ؛ بل أهمل الأهم ، الذي هو المطلوب ، وهو توحيد الألوهية .

أما توحيد الربوبية ، فجميع الأمم مقرة به ، لم ينكره إلا شذاذ من الخلق ، أنكروه تكبرا وعنادا مع اعترافهم به في قرارة أنفسهم . فجميع الخلق مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر ، لكن ليس هذا هو التوحيد المطلوب .

٦- التوحيد الذي طولب به البشر

التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية ، ولهذا كان الرسل كلهم يبدءون دعوتم لأقوامهم بقولهم : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [(١)] يدعون إلى توحيد الألوهية كما أخبر القرآن عنهم ذلك لأن توحيد الألوهية هو الذي تنكر له البشر واجتالتهم الشياطين عنه .

وأما توحيد الربوبية فهو شيء حاصل وموجود ومستقر في النفوس . والاقتصار عليه والاكتفاء به لا ينجي العبد ، ولا يدخله في زمرة الموحدين المؤمنين ، ولذلك قاتل الرسول ﷺ كفار قريش ، وهم يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ، قاتلهم واستحل دماءهم حتى يقروا بتوحيد الألوهية ؛ قال ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابم على الله ﴾ [(٢)] [(٣)] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١/١١) .

(٣) أخرجه البخاري (رقم ٢٩٤٦) ، ومسلم (رقم ٢١) .

فهذا دليل على أن المطلوب الأعظم من الخلق هو توحيد الألوهية ، ولذلك لم يقل ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت ؛ لأنهم مقرون بذا . بل قال : ﴿ حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ [1] أو " يشهدوا أن لا إله إلا الله " .

٧- بيان أنواع التوحيد الثلاثة من القرآن

سبق أن قلنا : إنا مستقرأة من القرآن الكريم . والآيات التي تؤخذ منها أنواع التوحيد الثلاثة كثيرة ، منها :

سورة الفاتحة - وهي أول سورة في المصحف - فيها أنواع التوحيد الثلاثة : فقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [2] فيه توحيد الربوبية ؛ لأن الآية أثبتت ربوبية الله لجميع العالمين - وهم كل ما سوى الله - والرب هو المالك المدبر .

وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [3] فيه توحيد الأسماء والصفات ؛ لإثبات وصف الله في الآيتين بالرحمة والملك ، وإثبات أسمائه : الرحمن ، الرحيم ، المالك ، وقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [4] فيه توحيد الألوهية ؛ لدلالة الآية على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والاستعانة .

كذلك سورة الناس - وهي آخر سورة في المصحف - فيها أنواع التوحيد الثلاثة : فقوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ ﴾ [5] هذا توحيد الربوبية . ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ ﴾ [6] هذا توحيد الأسماء والصفات . ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ [7] هذا توحيد الألوهية .

---

(١) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٣) سورة الفاتحة الآيتان : ٣، ٤ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٥) سورة الناس آية : ١ .
(٦) سورة الناس آية : ٢ .
(٧) سورة الناس آية : ٣ .

كذلك أول نداء في المصحف هو في نوعي التوحيد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢ ﴾ (١) .

لما ذكر - سبحانه وتعالى - أقسام الناس الثلاثة (المؤمنين والكافرين والمنافقين) وجه عباده نحو الاهتداء بداية القرآن ، فعقب ذلك بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (٢) وهو نداء عام لكافة الخلق لأمرهم جميعا بإفراد الله بالعبادة وعدم إشراك أي أحد معه . وهذا هو توحيد الألوهية .

ثم جاء بتوحيد الربوبية دليلا عليه ، فقال : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ ﴾ (٣) .

أليست هذه أفعال الله جل وعلا ؟ هذا توحيد الربوبية ، ذكره - سبحانه وتعالى - دليلا على توحيد الألوهية وبرهانا عليه . فكما أنه يفعل هذه الأشياء وحده فإنه لا يستحق العبادة أحد غيره ؛ بل هي حق خالص له سبحانه .

ذكر في هذه الآية نوعي التوحيد : توحيد الألوهية ؛ لأنه المقصود الأعظم ، وذكر توحيد الربوبية دليلا على الألوهية ومستلزما له ، وأمر بذلك جميع الناس كما قال في آية أخرى : ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (٤) فأخبر أن هذين العالمين العظيمين (عالم الجن وعالم الإنس) لم يخلقا إلا للقيام بعبادة الله وإفراده با وتوحيده في ألوهيته .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢١، ٢٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢١ .

(٣) سورة البقرة الآيتان : ٢١، ٢٢ .

(٤) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

ثم نهى عن الشرك في آخرها فقال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(١)] : أندادا : أي : شركاء تصرفون لهم شيئا من العبادة وأنتم تعلمون أنه لا شريك له في ربوبيته يشاركه في هذه الأمور : خلق السماوات والأرض وإنزال المطر وإنبات النبات . أنتم تعلمون أنه لا أحد يشارك الله في هذه الأمور ، فكيف تشركون معه غيره في العبادة ؟ !

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [(٢)] هذا في توحيد الألوهية ، والإله معناه : المعبود ، والألوهية : العبادة والحب .

ومعنى الآية : ومعبودكم بحق معبود واحد ، لا إله إلا هو ، أي : لا معبود بحق سواه .

وقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ [(٣)] هذا داخل في توحيد الأسماء والصفات ؛ إذ فيه إثبات اسمين لله ، وإثبات صفة الرحمة .

وقوله : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [(٤)] هذا في توحيد الربوبية ، ذكره الله دليلا وبرهانا على توحيد الألوهية ؛ ولذا أخبر أن في ذلك آيات ، أي دلالات وبراهين على استحقاق الله للعبادة دون غيره .

ففي هذه الآية أقسام التوحيد الثلاثة ، وهكذا تجدها متجاورة في القرآن الكريم .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٣ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٤ .

٨- الحكمة من تقرير القرآن لتوحيد الربوبية

والقرآن إنما يذكر توحيد الربوبية - مع أن الكفار مقرون به - من أجل أن يبين دلالته ويقيمه برهانا على توحيد الألوهية ، فيحتج عليهم بما أقروا به من باب الإلزام لهم :

كيف تقرون لله بالربوبية ، ولا تقرون له بالألوهية والعبودية ؟ !

كيف تصرفون العبادة لمن لا يشارك الله في شيء من مخلوقاته ؟ ! هذا من التناقض .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [(١)]

﴿ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ [(٢)] ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [(٣)] لو سلط الله عليهم الذباب ما استطاعوا أن ينتصروا لأنفسهم منه ، والذباب أضعف شيء ، فلو سلط الله الذباب والبعوض على الناس ما استطاعوا أن يتخلصوا منه ، يقتلون منه ما يقتلون ثم يكثر عليهم ويغمرهم .

وقيل : المعنى لو أن الذباب أخذ شيئا مما على الصنم من الطيب والزينات التي يجعلونا عليه ، فإن الصنم لا يستطيع أن يسترد ما أخذه الذباب منه . ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [(٤)] : ضعف الطالب : هو المشرك ، والمطلوب : هو الصنم ، وقيل الذباب .

---

(١) سورة الأحقاف آية : ٤ .

(٢) سورة لقمان آية : ١١ .

(٣) سورة الحج آية : ٧٣ .

(٤) سورة الحج آية : ٧٣ .

إذا كان كذلك فكيف تجعل هذه شركاء الله الخالق الرازق المحيي المميت القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء ، سبحانه وتعالى ؟ ! أين العقول ؟ ! وأين الأفهام ؟ ! نسأل الله العافية .

٩- التوحيد في آية الكرسي

آية الكرسي : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (١) .

هذه أعظم آية في كتاب الله ﷻ تشتمل على ربوبية الله وعبادته وعلى أسماء الله وصفاته ، جمع الله فيها بين النفي والإثبات : نفي النقائص والعيوب عنه ، وإثبات الكمال له - سبحانه وتعالى - .

وفي أولها توحيد الألوهية : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (٢) أي : لا معبود بحق إلا هو .

ثم ذكر توحيد الربوبية بقوله : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ (٣) وهذا فيه إثبات الحياة والقيومية لله .

وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ (٤) : هذا نفي ، نفى الله عن نفسه النقص والعيب ، من صفات النقص المنفية (النوم والسنة) .

قوله : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ (٥) : هذا إثبات لربوبيته ، فهو مالك السماوات والأرض ومن فيهن .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

وقوله : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [(١)] : هذا نفي ، نفى أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه ؛ وذلك لكمال عظمته سبحانه وتعالى . وأن أحدا لا يجرؤ أن يشفع عنده إلا بعد إذنه .

قوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ ﴾ [(٢)] : هذا إثبات ، فيه إثبات كمال العلم لله عَجَلَّ يعلم كل شيء : الماضي والحاضر والمستقبل ، لا يخفى عليه شيء ، علمه شامل محيط .

قوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ﴾ [(٣)] : هذا نفي ، نفى عن الخلق أن يعلموا شيئا من علم الله ، إلا بما أطلعهم الله عليه ، وإلا فإنهم لا يعلمون الغيب ، لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه .

وقوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ ﴾ [(٤)] : الكرسي مخلوق من مخلوقات الله ، وهو مخلوق عظيم ، السماوات والأرض بالنسبة إليه كسبعة دراهم ألقيت في فلاة - وهي الصحراء الواسعة - أو في ترس - وهو صحن كبير - ما تكون سبعة دراهم في فلاة أو في ترس ؟ ! فكرسي الله جل وعلا أكبر من السماوات والأرض ، وهو غير العرش ، والعرش أعظم من الكرسي .

وما الكرسي في العرش إلا كحلقة حديد ألقيت في أرض فلاة .

هذا الكرسي ، فكيف بعرش الرحمن سبحانه وتعالى ؟ !

إذن فالمخلوقات بالنسبة لله صغيرة جدا وليست بشيء . وإذا كان مخلوق من مخلوقات الله - وهو الكرسي - وسع السماوات والأرض وهو دون العرض ، فالله - جل وعلا - أعظم من كل شيء .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

وقوله : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ۚ ﴾ [1] أي : لا يشق عليه - سبحانه - ولا يثقله ، ولا يكرثه حفظ السماوات والأرض ، وحمايتهما من الفساد والتغير ، وإمساكهما ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ ۗ ﴾ [2] ، ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ۖ ﴾ [3] ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ۚ ﴾ [4] والله - سبحانه - ليس محتاجا إلى السماوات والأرض ، ولا إلى العرش ، ولا إلى الكرسي ، وليس محتاجا إلى المخلوقات ، وإنما مخلوقاته هي المحتاجة إليه - سبحانه وتعالى - .

وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ﴾ [5] بذاته وقدره وقهره فوق عباده ﴿ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [6] الجامع لصفات العظمة والكبرياء .

فهذه الآية اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة .

١٠- التوحيد في سورة الكافرون والإخلاص

في القرآن الكريم سور اختصت بتوحيد الألوهية مثل : ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [7] هذه السورة مخصصة لتوحيد الألوهية ، توحيد العبادة .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة الحج آية : ٦٥ .
(٣) سورة الرعد آية : ٢ .
(٤) سورة فاطر آية : ٤١ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٧) سورة الكافرون.

وسبب نزولها هو : أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يعبدوا ربه سنة ، وهو يعبد آلهتهم سنة [1] فأنزل الله هذه السورة في البراءة من عبادة الأوثان وتخصيص الله - جل وعلا - بالعبادة .

وقوله : ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ ﴾ [2] كرر هذه الجمل للتأكيد .

وقوله : ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [3] هذا من باب البراءة وتيئيس المشركين من هذا المطمع .

وفي القرآن أيضا سورة خاصة بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، هي : سورة الإخلاص ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ [4] ، فيها نفي وفيها إثبات ، نفي النقائص عن الله ، وإثبات صفات الكمال له - سبحانه وتعالى - ، كما في آية الكرسي . وهذه السورة خالصة في صفات الله ﷻ ولهذا جاء أن صحابيا كان يكثر قراءة هذه السورة ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : إني أحبها ؛ لأنا صفة الرحمن ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : « أخبروه أن الله تعالى يحبه » [5] [6] .

١١- أنواع التوحيد في سورة الزمر

سورة الزمر من أولها إلى آخرها تدور على التوحيد بأنواعه الثلاثة : توحد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . وأنت إذا تأملت السورة من أولها إلى آخرها وجدتا كذلك .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما .
(٢) سورة الكافرون آية : ٢ .
(٣) سورة الكافرون آية : ٦ .
(٤) سورة الإخلاص.
(٥) البخاري التوحيد (٦٩٤٠) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨١٣) ، النسائي الافتتاح (٩٩٣) .
(٦) متفق عليه من حديث عائشة : البخاري : كتاب التوحيد ، باب (١) رقم (٧٣٧٥) ، (٤٢٥/١٣) ومسلم : كتاب صلاة المسافرين ، رقم (٨١٣) .

فقوله : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [1] وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ ﴾ [2] هذا ونحوه في توحيد الألوهية ، فالسورة كلها تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة .

وكذلك غيرها من سور القرآن وآياته متضمنة أنواع التوحيد الثلاثة فلا تكاد تجد سورة من القرآن تخلو من ذكر التوحيد ، وبعض السور خالصة في نوع واحد أو أكثر من أنواع التوحيد . وأكثر السور المكية في بيان التوحيد ، والدعوة إليه .

وهذا يدل على أهمية التوحيد ومكانته من الدين ، وأنه يجب على المسلمين العناية به تعلما وتعليما وعملا ؛ قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [3] وهذا خطاب لرسول الله ﷺ وكل واحد من أمته ، أمرهم بالتعلم قبل العمل ، تعلم العلم ، ولا سيما علم التوحيد ؛ لأن العمل إذا لم يؤسس على علم ! فإنه لا يكون صحيحا .

فلا بد أن يتعلم الإنسان أولا ثم يعمل ، ولا يعمل بدون علم .

ولذا قال سبحانه : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦ ﴾ [4] ﴿ شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [5] يعني : نطق بلسانه وقال : لا إله إلا الله ، ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٨٦ ﴾ [6] ما يشهدون به من معنى هذه الكلمة ومقتضاها وما تدل عليه ، ويعملون بما بعد العلم والمعرفة .

---

(١) سورة الزمر الآيات : ١-٣ .
(٢) سورة الزمر الآيات : ١١-١٤ .
(٣) سورة محمد آية : ١٩ .
(٤) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٥) سورة الزخرف آية : ٨٦ .
(٦) سورة الزخرف آية : ٨٦ .

فلا بد من ثلاثة أمور : النطق بلا إله إلا الله وإعلان ذلك ومعرفة معناها ، والعمل بمقتضاها ظاهرا وباطنا .

فالقرآن إذن كله في التوحيد وأنواعه ، وحقوقه ومكملاته ، وجزاء من عمل به وجزاء من أعرض عنه ، كله يدور على هذه المعاني .

هذا هو التوحيد الذي يجب على المسلمين أن يهتموا به قبل كل شيء ؛ حتى يتحقق لهم النصر والعز والتمكين في الأرض ، فهذه الأمور لا تتحقق إلا بتحقيق التوحيد الذي خلق الله الخلق من أجله وأمرهم به من أولهم إلى آخرهم .

فكيف يهون من شأن التوحيد ؟ ! فيقال : الناس الآن في مشكلات ! المسلمون في ضيق وفي مضايقة من الأعداء !

يجب أن يعلم أن أعظم قضايا المسلمين هو الإتيان بالتوحيد ، فتجب العناية به قبل كل شيء ، وأن نخلص الناس من الجهل بالتوحيد ، ونخلصهم من الشرك ، والبدع والخرافات ؛ حتى يتحقق لهم النصر كما تحقق لمن كان قبلهم من قرون هذه الأمة الذين حققوا التوحيد قولا وعلما وعملا ، فمكن الله لهم في الأرض ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾ (1) ، لكن بشرط : ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (2) أي : الخارجون عن طاعة الله عز وجل .

هذا هو التوحيد ، وهذه أنواعه ، وهذه أهميته ، وهذه دلالة القرآن الكريم عليه .

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد المتمسكين بالكتاب والسنة ، الداعين إلى الله على بصيرة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

ونسأله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويصلح ولاة أمور المسلمين وعلماءهم .

---

(1) سورة النور آية : 55 .

(2) سورة النور آية : 55 .

الدرس الثاني سورة الفاتحة

١- م لتها ومكانتها

هذه السورة لها مكانة عظيمة في القرآن الكريم ؛ إذ هي أعظم سورة فيه ، كما أن أعظم آية في القرآن آية الكرسي . ولأهميتها كتبت في أول المصحف ، ولهذا سميت فاتحة الكتاب ، وهذا يدل على أهميتها ومكانتها ؛ لأنا ما قدمت وجعلت أول سورة في المصحف إلا لأهميتها .

٢- حكم قراءتا في الصلاة

ومن أهميتها أيضا أن الله - سبحانه وتعالى - أوجب قراءتا في كل ركعة في الصلاة . وقد ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب قراءتا في الصلاة ، وأن من لم يقرأ با في صلاته ؛ فإن صلاته لا تصح ؛ لقوله النبي ﷺ : ﴿ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ﴾ [(١)] [(٢)] .

وهذا في حق المستطيع لقراءتا ، أما العاجز الذي لا يستطيع قراءتا لعجزه عن حفظها ؛ فإنه يقرأ ما تيسر معه من آيات القرآن غير الفاتحة . وإذا كان لا يحسن شيئا من القرآن ؛ فإنه يأتي بالذكر : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ لقوله النبي ﷺ ﴿ إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، فإن كان معك قرآن فاقرأ ، وإلا فاحمد الله وكبره وهلله ثم اركع . . . ﴾ [(٣)] [(٤)] .

(١) البخاري الأذان (٧٢٣) ، مسلم الصلاة (٣٩٤) ، الترمذي الصلاة (٢٤٧) ، النسائي الافتتاح (٩١١) ، أبو داود الصلاة (٨٢٢) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٧) ، أحمد (٣١٦/٥) ، الدارمي الصلاة (١٢٤٢) .

(٢) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت : البخاري : كتاب الأذان ، باب (٩٥) ، رقم (٧٥٦) ، (٣٠٦/٢) . ومسلم : كتاب الصلاة رقم (٣٩٤) .

(٣) أبو داود الصلاة (٨٥٦) .

(٤) أخرجه من حديث رفاعة بن رافع أبو داود : كتاب الصلاة ، باب (١٤٨) ، رقم (٨٦١) ، (٣٧٧/١) والترمذي : كتاب الصلاة ، باب (١١٠) ، رقم (٣٠٢) ، (١٠٠/٢) .

وقد ذهب جمهور العلماء إلى وجوبها على الإمام والمنفرد ، واختلفوا في قراءتها في حق المأموم ، وعلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : إنها واجبة على كل مصل : إماما كان أم مأموما ؛ أم منفردا لقوله النبي ﷺ : ﴿ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ﴾ [(١)] وهذا عام في كل مصل . وقال ﷺ : ﴿ لعلكم تقرءون خلف إمامكم ؟ ! قالوا : نعم ، يا رسول الله ، قال : لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب ؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها ﴾ [(٢)] [(٣)] وهذا مذهب الإمام الشافعي وجمع من المحدثين كالإمام البخاري وغيره ، يرون وجوب قراءتها على الإمام والمأموم والمنفرد .

القول الثاني : إنها لا تجب على المأموم ؛ لأن قراءة الإمام تجزئ عنه ؛ لقوله ﷺ : ﴿ من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ﴾ [(٤)] [(٥)] ولكن هذا الحديث في سنده مقال .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [(٦)] ، قالوا في وجه الاستدلال : إن الله - جل جلاله - أمر بالاستماع

---

(١) البخاري الأذان (٧٢٣) ، مسلم الصلاة (٣٩٤) ، الترمذي الصلاة (٢٤٧) ، النسائي الافتتاح (٩١١) ، أبو داود الصلاة (٨٢٢) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٧) ، أحمد (٣١٦/٥) ، الدارمي الصلاة (١٢٤٢) .

(٢) البخاري الأذان (٧٢٣) ، مسلم الصلاة (٣٩٤) ، الترمذي الصلاة (٢٤٧) ، النسائي الافتتاح (٩٢٠) ، أبو داود الصلاة (٨٢٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٧) ، أحمد (٣١٦/٥) ، الدارمي الصلاة (١٢٤٢) .

(٣) أخرجه بنحوه من حديث عبادة بن الصامت : أبو داود : كتاب الصلاة ، باب (١٣٦) ، رقم (٨٢٤) ، (٣٦٢/١) . والنسائي : كتاب الافتتاح ، باب (٢٩) ، رقم (٩١٩) ، (٤٧٩/١) .

(٤) ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٥٠) ، أحمد (٣٣٩/٣) .

(٥) أخرجه من حديث جابر : أحمد برقم (١٤٦٩٨) ، (١٢٥/٥) . وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة ، باب (١٣) ، رقم (٨٥٠) ، (٤٦٣/١) . واللفظ المذكور للبيهقي في سننه : كتاب الصلاة ، باب (٢٦٥) ، رقم (٢٨٩٨) ، (٢٢٨/٢) .

(٦) سورة الأعراف آية : ٢٠٤ .

لقراءة القرآن والإنصات . والآية نزلت في شأن الاستماع في الصلاة ، يعني : إذا قرأ الإمام فعلى المأموم أن ينصت ويستمع . فدلت الآية على أنه لا قراءة على المأموم ؛ لأن الإمام يقرأ لنفسه وللمأمومين . وهذا القول هو مذهب أبي حنيفة وأحمد .

القول الثالث : وهو قول الإمام مالك واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من العلماء ، أنها تجب على المأموم في الصلاة السرية التي لا يجهر فيها الإمام ، كالظهر والعصر ، فأما في الصلاة الجهرية فإنها تكفي قراءة الإمام ، وعلى المأموم أن ينصت ويستمع .

قالوا : وبهذا تجتمع الأدلة : فالأدلة التي توجب قراءة الفاتحة تحمل على الصلاة السرية ، والأدلة الأخرى والآية الكريمة تحمل على الصلاة الجهرية . وهذا القول هو أعدل الأقوال إن شاء الله .

٣- أسماء سورة الفاتحة

هذه السورة لها عدة أسماء ، كل اسم يدل على معنى ، والشيء إذا كثرت أسماؤه دل ذلك على فضله .

فتسمى : فاتحة الكتاب ؛ لأنها تفتتح بها كتابة المصاحف .

وتسمى : أم القرآن ؛ لأن القرآن يدور على ما تشتمل عليه هذه السورة من المعاني ، فكل المعاني التي اشتمل عليها القرآن وفصلها في آياته ، اشتملت عليها هذه السورة بصفة مجملة .

وتسمى الرقية ؛ لأنها يرقى بها المريض ؛ والدليل على ذلك ما في الصحيح : ﴿ أن نفرا من الصحابة أضافوا حيا من أحياء العرب فلم يضيفوهم ، فلدغ كبيرهم - لدغته حية أو عقرب - ولم يجدوا له علاجا ، فجاءوا إلى هؤلاء النفر من الصحابة فطلبوا منهم الرقية . فقالوا : إنكم لم تضيفونا ، وإنا لا نرقي إلا بجعل ، يعني : بأجر ، فحدوا لهم قطيعا من الغنم ، فقام أحد الصاحبة فقرأ عليه سورة الفاتحة ، فقام الرجل كأنما نشط من

عقال . فأخذوا الغنم ، ولكن لم يتصرفوا فيها حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فقدموا على الرسول وذكروا له القصة ، فقال : (وما أدراك أنا رقية) ؟ ! ثم إنه قال لهم : (اقتسموا هذه الغنم ، واضربوا لي معكم بسهم) [(١)] [(٢)] وقال : ﴿ إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله ﴾ [(٣)] [(٤)] .

وتسمى الشافية ؛ لأنا تشفي بإذن الله من الأمراض ، تشفي القلوب ، وتشفي الأبدان : تشفي القلوب من الشكوك والأوهام والوساوس ، وتشفي الأبدان من الآلام ، كما حصل لهذا اللديغ .

وتسمى : السبع المثاني ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [(٥)] المراد بالسبع المثاني : سورة الفاتحة لأنا سبع آيات ، ووصفت السبع بأنا مثاني ؛ لأنا تكرر قراءتا في كل ركعة . وقال النبي ﷺ عنها : ﴿ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ﴾ [(٦)] [(٧)] . وتسمى : الصلاة ؛ كما جاء في الحديث القدسي : ﴿ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ﴾ [(٨)] . . [(٩)] ثم فسر الصلاة بالفاتحة .

---

(١) البخاري الطب (٥٤١٧) ، مسلم السلام (٢٢٠١) ، الترمذي الطب (٢٠٦٣) ، أبو داود البيوع (٣٤١٨) ، ابن ماجه التجارات (٢١٥٦) ، أحمد (١٠/٣) .

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري : البخاري : كتاب الإجارة ، باب (١٦) ، رقم (٢٢٧٦) ، (٥٧١/٤) . ومسلم : كتاب السلام ، باب (٢٣) .

(٣) البخاري الطب (٥٤٠٥) .

(٤) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس : كتاب الطب ، باب (٣٤) ، رقم (٥٧٣٧) ، (٢٤٤/١٠) .

(٥) سورة الحجر آية : ٨٧ .

(٦) البخاري تفسير القرآن (٤٢٠٤) ، النسائي الافتتاح (٩١٣) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٨) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٨٥) ، أحمد (٢١١/٤) ، الدارمي الصلاة (١٤٩٢) .

(٧) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى : كتاب التفسير سورة (١) باب (١) رقم (٤٤٧٤) ، (١٩٦/٨) .

(٨) مسلم الصلاة (٣٩٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٥٣) ، أحمد (٢٨٦/٢) ، مالك النداء للصلاة (١٨٩) .

(٩) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب الصلاة ، باب (١١) ، رقم (٣٩٥) ، (٣٢٤/٢) .

٤- عدد آياتا

هذه السورة هي سبع آيات بنص القرآن ، كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾ [(١)] : فقوله ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)] هذه آية ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [(٣)] الآية الثانية ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [(٤)] الآية الثالثة ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [(٥)] الآية الرابعة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [(٦)] الآية الخامسة ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(٧)] الآية السادسة ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [(٨)] هي الآية السابعة .

هذا مذهب الجمهور في عدد آياتا .

وذهب الشافعي إلى أن قوله : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [(٩)] آية واحدة ، وهي الآية السابعة ، وأن الآية الأولى من السورة هي : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [(١٠)] .

ولهذا الاختلاف يوجد في بعض المصاحف كتابة رقم (١) بعد البسملة ، إشارة إلى أن البسملة آية من الفاتحة ، وفي بعضها لا يوجد هذا الرقم تبعا للقول بأنا ليست آية منها .

---

(١) سورة الحجر آية : ٨٧ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٣ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٥) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٦) سورة الفاتحة آية : ٦ .
(٧) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(٨) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(٩) سورة الفاتحة آية : ٧ .
(١٠) سورة الفاتحة آية : ١ .

فالبسملة عند الشافعي آية من الفاتحة ، وأما الجمهور فالبسملة - عندهم - ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من سور القرآن ، إلا التي في سورة النمل فإنا بإجماع العلماء بعض آية من تلك السورة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ ﴾ [1] . وأما في غير ذلك فهي آية مستقلة ، وليست خاصة بسورة معينة ، ولذا لا يوجد في أي مصحف كتابة رقم (١) عليها في سائر السور غير سورة الفاتحة ؛ وذلك لأنا آية مستقلة نزلت للفصل بين السور ، ولذا يؤتى بها في أول كل سورة إلا في أول سورة براءة ؛ لأنا لم تـ ل على الرسول ﷺ في أول هذه السورة كما نزلت عليه في بقية السور ، وقيل في تعليل ذلك : إن براءة مكملة لسورة الأنفال ، وقيل : لأنا نزلت بالسيف والعذاب وافتتحت بالبراءة فلا يناسب تقديم ذكر الرحمة عليها . والله أعلم .

٥- شرح الاستعاذة والبسملة

أما (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ؛ فهذه قطعا ليست من الفاتحة ، وإنما يؤتى بالاستعاذة ؛ عملا بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾ [2] ، فإذا أراد المسلم أن يقرأ القرآن فإنه يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في بداية قراءته ؛ من أجل أن يتحصن من الشيطان فلا يشوش عليه قراءته .

ومعنى أعوذ : ألتجئ إلى الله جل وعلا ، وأحتمي به من هذا العدو . فالعوذ هو الالتجاء إلى الله من الشيطان .

والشيطان ، المراد به كل مارد عات من الإنس والجن والدواب . من شاط الشيء إذا اشتد ، أو من شطن إذا بعد ؛ لأن الشيطان بعيد من الخير .

---

(١) سورة النمل آية : ٣٠ .

(٢) سورة النحل آية : ٩٨ .

الرجيم ؛ فعيل بمعنى مفعول ، أي : المرجوم ؛ لأن الشياطين ترجم بالشهب من السماء ، فلا يسترقون السمع وترجم كذلك بذكر الله سبحانه وتعالى . فالشيطان مرجوم بمعنى : أنه مطرود ومبعد عن الخير . فالمسلم يعتصم بربه ويلتجئ إليه من هذا الشيطان ؛ لئلا يضره ، ويستعيذ به من همزه ونفخه ونفثه ، وهكذا ورد في استعاذة النبي ﷺ [(١)] .

والهمز المراد به : الصرع ؛ لأن الشيطان يصرع الإنسان أحيانا فيجن ويتخبط ، فإصابة الجنون هذه من الشيطان ، قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾ [(٢)] المراد به : الصرع . فالشيطان يداخل الإنسان ويجري منه مجرى الدم ، ويصرعه أحيانا ، وإذا لم يحمه الله منه فإنه يؤذيه بالوساوس والأوهام والصرع .

والنفخ معناه : الكبر ؛ لأن الكبر من الشيطان ، فهو الذي ينفخ في الإنسان .

والنفث : الشعر ، قال تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [(٣)] فالشعر من نفث الشيطان ، إلا ما كان من الشعر الطيب الـ يه فإنه ممدوح ؛ قال ﷺ : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر حكما » [(٤)] [(٥)] لكن غالب الشعر أنه سيء ، وأنه من نفث الشيطان ، وقيل : المراد بنفثه : السحر ؛ قال - تعالى - : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ ﴾ [(٦)] .

---

(١) كما في حديث الاستعاذة في الصلاة عن أبي سعيد الخدري : أخرجه أحمد برقم (١١٤٩٣) ، (١٢٩/٤) وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب (١٢٢) ، رقم (٧٧٥) ، (٣٤٤/١) والترمذي : كتاب الصلاة ، باب (٦٥) ، رقم (٢٤٢) ، (٩/٢) وبنحوه أخرجه ابن ماجه عن جبير بن مطعم (٨٠٧) وعن ابن مسعود (٨٠٨) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٧٥ .

(٣) سورة الشعراء آية : ٢٢٤ .

(٤) الترمذي الأدب (٢٨٤٥) ، أبو داود الأدب (٥٠١١) ، أحمد (٢٦٩/١) .

(٥) أخرجه من حديث ابن عباس : أحمد : برقم (٢٤٢٤) ، (٧٠١/١) ، وروى طرفه الأول عن جماعة من الصحابة . وأخرجه أيضا أبو داود : كتاب الأدب ، باب (٩٥) ، رقم (٥٠١١) ، (١٧٤/٥) .

(٦) سورة الفلق آية : ٤ .

والاستعاذة مستحبة قبل القراءة في الصلاة وفي غيرها ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1] وهذا مطلق تدخل فيه حال الصلاة وغيرها .

" بسم الله الرحمن الرحيم " : الباء للاستعانة ، وفيه فعل مقدر ، تقديره : أستعين باسم الله ، أو أتحصن باسم الله . واسم الله مفرد مضاف يعم جميع أسماء الله تعالى ، فتقول : أتحصن وأتبرك بأسماء الله سبحانه وتعالى ؛ لأن أسماء الله تعالى مباركة ؛ قال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [2] والنبي ﷺ كان في دعاء الاستفتاح يقول : ﴿ وتبارك اسمك ﴾ [3] ، فاسم الله مبارك ، وأنت تتبرك بأسماء الله ، فقولك : باسم الله ، الجار والمجرور متعلق بمحذوف ، أي : أتبرك وأستعين باسم الله .

و (الله) : علم على الإله المعبود الحق ، وهو من أعظم أسماء الله - سبحانه وتعالى - والله معناه : المألوه المعبود ، من أله يؤله إذا عبد ، فهو المعبود سبحانه وتعالى . المقصود في كل حاجة .

(الرحمن) : اسم من أسماء الله ، يتضمن صفة من صفاته وهي الرحمة .

(الرحيم) : كذلك ، فالرحمن والرحيم من أسمائه ، والرحمة من صفاته ، وكل اسم من أسماء الله جل وعلا ؛ فإنه يتضمن صفة من صفاته .

والفرق بين الرحمن والرحيم : أن الرحمن : ذو الرحمة العامة لجميع المخلوقات ، وأما الرحيم : فهو خاص بالمؤمنين ؛ قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [4] .

---

(١) سورة النحل آية : ٩٨ .
(٢) سورة الرحمن آية : ٧٨ .
(٣) الترمذي الصلاة (٢٤٢) ، النسائي الافتتاح (٩٠٠) ، أبو داود الصلاة (٧٧٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٠٤) ، أحمد (٥٠/٣) ، الدارمي الصلاة (١٢٣٩) .
(٤) سورة الأحزاب الآيتان : ٤٣.

٦- تفسير آيات الفاتحة

قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [(١)] الحمد هو : الثناء على الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه يحمد بمعنى : يثنى عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى . والحمد أعم من الشكر ؛ لأن الشكر لا يكون إلا على الأفعال ، وأما الحمد فيكون على الأسماء والصفات وعلى الأفعال ، فالحمد أعم من الشكر .

وهذا هو الفرق بين الحمد والشكر .

و " أل " في قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [(٢)] ، للاستغراق أي : جميع المحامد لله - سبحانه وتعالى - ملكا واستحقاقا .

فلا يستحق الحمد على الإطلاق إلا الله - جل وعلا - ؛ لأنه هو المنعم ذو الإنعام المطلق ، فله الحمد المطلق سبحانه وتعالى ، ففي قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [(٣)] ، أي : جميع المحامد لله سبحانه وتعالى .

وأما المخلوق فإنه يحمد على قدر ما يجري منه من الخير ، ولكن الله هو الذي جعل فيه هذا الخير ، فأصل الحمد ، لله عز وجل .

قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [(٤)] ، الرب هو : المربي لخلقه - سبحانه وتعالى - بنعمه ، وهو المالك لهم ، فالرب : يطلق ويراد به المربي ، ويطلق ويراد به المالك ، والله هو مالك جميع الخلق ، ويطلق ويراد به المصلح ، والله - سبحانه وتعالى - هو الذي يصلح أحوال عباده ويتولاهم .

ولا يطلق لفظ الرب إلا على الله - سبحانه وتعالى - ، أما إطلاقه على غير الله فلا بد أن يقيد بالمضاف إليه ، فيقال : رب الدار ، رب الإبل ، أي : صاحبها ومالكها .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٢ .

أما إذا أطلق الرب أو رب العالمين ، فإنه خاص بالله سبحانه ، لا يجوز وصف غيره به .

والعالمين : جمع عالم ، وهو : كل ما سوى الله سبحانه وتعالى . والعوالم في الكون كثيرة ، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، ومنها : عالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وعالم الجمادات ، وعالم الحيوانات ، كل أجناس الخلق يقال لها عوالم ، وربها هو الله جل وعلا ، لا أحد يخرج من ربوبيته سبحانه وتعالى .

قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [(١)] عرفنا تفسيرهما في شرح البسملة .

قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [(٢)] في قراءة (مالك) بالألف ، وفي قراءة (ملك) ، وكلا القراءتين صحيح ، فهو سبحانه مالك وملك . ﴿ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [(٣)] : المراد بالدين هنا : الحساب والجزاء ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ ﴾ [(٤)] أي الحساب والجزاء .

وقال تعالى : ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ﴾ [(٥)] يعني : يكذب بالجزاء والحساب ، والبعث والنشور .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ [(٦)] أي : بالحساب والجزاء والمجازاة يوم القيامة . فيوم الدين هو يوم القيامة ، سمي يوم الدين ؛ لأنه يوم الجزاء والحساب .

لماذا قال : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [(٧)] مع أنه مالك يوم الدين وغيره ؟

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٣ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٤) سورة الانفطار آية : ٩ .
(٥) سورة الماعون آية : ١ .
(٦) سورة التين آية : ٧ .
(٧) سورة الفاتحة آية : ٤ .

خص يوم الدين بالذكر ؛ لأنه لا ملك في ذلك اليوم إلا لله سبحانه وتعالى ، كما قال : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ (١) ، فالملوك وأفراد الناس سواء في هذا اليوم ، ليس لأحد ملك إلا الله جل وعلا ، فلذلك خصه به في قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (٢) وإن كان مالكا لغيره - سبحانه وتعالى - لزوال ملك غيره فيه ؛ ولهذا جاء في الحديث : « إن الله سبحانه وتعالى يقول : أنا الملك ، أين المتكبرون ؟ أين الجبارون ؟ » (٣) (٤) وهذا كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦ ﴾ (٥) .

يتساوى في هذا اليوم جميع الناس : ملوكهم وعبيدهم ، فقراؤهم وأغنياؤهم وأشرافهم ، لا أحد يتميز عن أحد إلا بالعمل الصالح .

قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ (٦) ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ (٧) أي : نخصك بالعبادة ، وقدم إياك ؛ للدلالة على الاختصاص وأنه لا يستحق العبادة أحد إلا الله سبحانه وتعالى . وهذا من باب الحصر ؛ لأن تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر ، أي : لا يستحق العبادة إلا أنت . ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ (٨) أي : نطلب الإعانة . والاستعانة نوع من العبادة ، فلماذا أفردها مع أنا داخلة في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ (٩) ؟

---

(١) سورة غافر آية : ١٦ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٣) البخاري التوحيد (٦٩٧٧) ، مسلم صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٨) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٧٥) ، أحمد (٨٨/٢) .
(٤) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر : كتاب صفات المنافقين ، باب (١) ، رقم (٢٧٨٨) . وأصله في البخاري : كتاب التوحيد ، باب (١٩) (٧٤١٢) ، (٤٨٠/٣) .
(٥) سورة غافر آية : ١٦ .
(٦) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٧) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٨) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٩) سورة الفاتحة آية : ٥ .

قالوا : هذا من عطف الخاص على العام ؛ وذلك لأن العبادة حق لله جل وعلا ، والاستعانة حق للمخلوق ؛ إذ هو الذي يستعين بالله ﷻ ويطلب منه حوائجه .

وكرر ﴿ إياك ﴾ ولم يقل : " إياك نعبد ونستعين " ؛ لتأكيد الاختصاص ، وأنه لا يستحق العبادة ولا يستحق الاستعانة أحد إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو المعين وحده وكل الدين يدور على العبادة والاستعانة ، على هاتين اللفظتين العظيمتين : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [1] .

قوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [2] هذا دعاء وهو دعاء مسألة ، والذي سبق في أول السورة ، وهو قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [3] دعاء عبادة ؛ لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين :

دعاء عبادة ، وهو : الثناء على الله ، فالثناء على الله دعاء ، وهو دعاء عبادة . ودعاء مسألة ، ومنه قوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ [4] إلى آخر السورة .

اهدنا ، الهداية هي : الدلالة والإرشاد ، أي : دلنا وأرشدنا .

والهداية أربعة أقسام ، لكن أهمها قسمان :

القسم الأول : هداية الدلالة والإرشاد ، وهذه عامة من جهتين : من حيث الهدى فهي تحصل للمؤمن والكافر ، والله قد هدى الكافر ، بمعنى أنه دله وأرشده وبين له الطريق الحق ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [5] أي :

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٢ .

(٤) سورة الفاتحة آية : ٦ .

(٥) سورة فصلت آية : ١٧ .

أرشدناهم . وهي أيضا عامة من حيث الهادي والمرشد ، فيدخل فيها الرسول ومن اتبعه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [(١)] .

القسم الثاني : هداية التوفيق لقبول الحق ، وهذه خاصة أيضا من جهتين : لا تحصل إلا للمؤمن . وهي من خصائص الله سبحانه وتعالى ، ولذا نفاها عن رسول الله ﷺ فقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [(٢)] .

وقوله : اهدنا يعم الهدايتين : هداية الدلالة والإرشاد ، وهداية التوفيق ، دلنا وأرشدنا ، وثبتنا ووفقنا .

الصراط هو في اللغة : الطريق والجادة ، التي يمشي عليها الناس والحيوانات . والمراد بالصراط هنا : الإسلام والقرآن والرسول - ﷺ - ؛ وسمي كل من هؤلاء صراطا وطريقا ؛ لأنه يوصل إلى الله سبحانه وتعالى .

المستقيم معناه : الذي لا اعوجاج فيه ولا خفاء ، مستقيم واضح لا يضل من سار عليه ، بخلاف الطرق المعوجة المختلفة فإن من يسير عليها يضل ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [(٣)] فصراط الله واحد لا انقسام فيه ، ولا اعوجاج ولا خفاء . أما الصراط المعوج فهذا طريق الضلال ، والعياذ بالله . ولهذا لما قرأ النبي ﷺ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾ [(٤)] خط ﷺ خطا مستقيما وخط على

---

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ .
(٢) سورة القصص آية : ٥٦ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

يمينه وشماله خطوطا كثيرة ، وقال : (هذا صراط الله) للخط المعتدل ، وقال عن الخطوط الأخرى : وهذه السبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ﴾ [(١)] [(٢)] .

قوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(٣)] الصراط تارة يضيفه الله لنفسه ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾ [(٤)] وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [(٥)] يضيفه إلى نفسه سبحانه وتعالى ؛ لأنه هو الذي شرعه ، ودل عليه ، ووضحه للناس ، ولأنه الصراط الذي يوصل إلى الله جل وعلا ، فأضافه إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم ، ودلالة على أنه يوصل إلى الله سبحانه وتعالى .

وتارة يضيفه إلى أهله ، كما في هذه الآية : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(٦)] إضافة إلى الذين أنعم عليهم ؛ لأنهم هم الذين يسيرون عليه بخلاف أهل الضلال فإنهم يسيرون على طرق ضالة . ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(٧)] : حيث هديتهم إلى سلوك هذا الصراط ووفقتهم له ، وهذه أعظم نعمة من الله - سبحانه وتعالى - . ومن هم الذين أنعم الله عليهم ؟ بينهم الله في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [(٨)] .

---

(١) البخاري الرقاق (٦٠٥٤) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٤) ، ابن ماجه الزهد (٤٢٣١) ، أحمد (٤٣٥/١) ، الدارمي المقدمة (٢٠٢) .

(٢) أخرجه من حديث ابن مسعود : أحمد . برقم (٤١٤٢٩ ، والحاكم : كتاب التفسير ، رقم (٣٢٩٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأخرجه ابن ماجه من حديث جابر . كتاب المقدمة ، باب (١) ، رقم (١١) ، (١٥/١) .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٥) سورة الشورى آية : ٥٢، ٥٣ .

(٦) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٧) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٨) سورة النساء آية : ٦٩ .

فهذا الصراط من الذي يسير عليه ؟ يسير عليه الذين أنعم الله عليهم : من النبيين ، هذا الصنف هم أول من يسير عليه ، والصديقين ؛ لأن الصديقين هم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، والشهداء في سبيل الله بعد مرتبة الصديقين والصالحين وهم سائر المؤمنين .

فالذين يسيرون على هذا الصراط المستقيم طبقات : أول طبقة هم الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، ثم يليهم الصديقون ، ثم يليهم الشهداء ، ثم يليهم الصالحون من كل أمة .

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم نسير على هذا الطريق المستقيم في مرافقة هؤلاء ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [1] والإنسان في هذه الدنيا - وهو يسير على الطريق المستقيم - يجد مضايقات وشدائد وأذى ، ويحس بغربة بين الناس ، وربما نالوا منه بالضرب والتهكم ، والتهديد والتنقص .

فإذا تذكر أن رفقاءه هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فإنه يطمئن ويصبر على ما يناله في سلوك هذا الصراط .

والسير على هذا الصراط محفوف بالمكاره ، محفوف بالشدائد والمشاق ، ليس مفروشا بالورود ، فلذا كان لا بد لسلوكه من صبر طويل ، وعزم أكيد ، ومما يعينك على سلوكه ويهون عليك شدائده تذكرك أنك ترافق هؤلاء ، لكن هذا يحتاج إلى إيمان ، وقل من يوفق لذلك ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2] فالذين أنعم الله عليهم هم : أهل العلم النافع والعمل الصالح ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

قوله تعالى : ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [3] من هم المغضوب عليهم ؟ هم الذين علموا ولم يعملوا ، تعلموا العلم النافع وفقهوا ولكنهم لم يعملوا بعلمهم ، فهؤلاء

(١) سورة النساء آية : ٦٩ .
(٢) سورة فصلت آية : ٣٥ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٧ .

مغضوب عليهم ؛ لأنم عصوا الله على بصيرة . وهذا يشمل كل من لا يعمل بعلمه فإنم مغضوب عليهم ، وفي مقدمة هؤلاء اليهود ؛ لأن اليهود عندهم علم ، وقد سماهم الله أهل الكتاب وأهل العلم ، ولكنهم لما لم يعملوا بعلمهم غضب الله عليهم ، وليس هذا خاصا بم ، بل هو عام لكل من سلك طريقهم ممن تعلم العلم ولم يعمل به . ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [1] الضالون هم : الذين يعملون بدون علم ؛ لأنم ليسوا على هدى مثلهم مثل من يمشي وهو لا يعرف الطريق . أليس الذي يمشي في البر وهو لا يعرف الطريق يقال له في اللغة : ضال ؟ وأنه على خطر من الهلاك ؟ فالذي يعمل بدون علم ضال في الشرع ، والعياذ بالله .

وإن كان يعمل ويتعب نفسه ويتقرب إلى الله ويبكي ويصيح ، يريد الجنة ، لكنه لما كان يسير على غير طريق صحيح لم ينفعه ذلك ، ويدخل في الضالين : النصارى ؛ لعملهم بدون علم ويدخل فيها الخرافيون والمبتدعة ؛ لأنم يعملون بدون علم .

فالمصلي والقارئ لسورة الفاتحة يسأل الله أن يجنبه طريق هذين الصنفين : الذين معهم علم ولا يعملون به ، والذين معهم عمل ولكن بدون علم .

وتوجد الآن بعض الجماعات تزهد في العلم وتعلمه ، يقولون للناس اشتغلوا بالعبادة والذكر ، واخرجوا في سبيل الله ، ويعنون بسبيل الله : الخروج والسفر والتجول في البلدان ، ويزهدون في طلب العلم ويهونون من شأنه وشأن أهله ! وهذا الطريق ضلال ، والعياذ بالله . فلا بد من العلم أولا ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [2] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

وقد دلت الآيات السابقة على أن الناس بالنسبة إلى العلم والعمل ثلاثة أصناف :

فالذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح هم الذين أنعم الله عليهم . الذين تسأل الله - في هذه السورة - أن يهديك صراطهم .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٧ .

(٢) سورة محمد آية : ١٩ .

والذين أخذوا العلم وتركوا العمل ، هم المغضوب عليهم من أي ملة ومن أي دين .
والذين أخذوا العمل وتركوا العلم هم الضالون ، وكلا الفريقين خاسر . نسأل الله العافية .

فإذا تأملت هذه السورة أدركت السر في عظمتها ، وأن الله ما جعلها تقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة إلا لمكانتها وعظمتها بين سائر السور .

ومن ذلك ما تشتمل عليه هذه السورة من هذا الدعاء العظيم : دعاء العبادة في أولها ، ودعاء المسألة في آخرها ، فهي كلها دعاء ، ولهذا يستحب في الصلاة إذا فرغ المصلي من قراءتها أن يقول : آمين (الإمام والمأموم والمنفرد يستحب لهم ذلك) .

وآمين معناه : اللهم استجب ، أي استجب هذا الدعاء ، فهو تأمين على دعاء هذه السورة .

وآمين ليست واجبة في الصلاة ويستحب أن يجهر بآمين ، في الصلاة الجهرية سواء كان إماما أم مأموما أم منفردا .

أما إذا كان يقرأ سرا فإنه يسر بها .

٧- مما جاء في فضلها

ومن عظمة هذه السورة ما جاء في الحديث القدسي - وهو في الصحيح - أن الله - جل وعلا - يقول : ﴿ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، ولعبدي ما سأل ﴾ (١) والمراد بالصلاة هنا الفاتحة ، سميت صلاة لأنها تقرأ في الصلاة . ولأن الصلاة في اللغة : الدعاء ، وسورة الفاتحة دعاء .

قوله : " بيني وبين عبدي نصفين " ، فهي سبع آيات : ثلاث آيات ونصف لله - جل وعلا - . وثلاث آيات ونصف للعبد ، ﴿ فإذا قال العبد : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) مسلم الصلاة (٣٩٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٥٣) ، أحمد (٢/٢٨٦) ، مالك النداء للصلاة (١٨٩) .

﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [1] ، قال الله تعالى : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾ [2] ، قال الله سبحانه : أثنى علي عبدي ، وإذا قال : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ ﴾ [3] ، قال الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [4] قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ﴾ [5] .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [6] ، هذا لله ، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [7] ، هذا للعبد . فمن قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [8] إلى آخر السورة هذا للعبد ؛ لأن العبد يدعو به ربه . ومن قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ [9] إلى قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [10] هذا لله سبحانه وتعالى ؛ لأنه كله ثناء على الله جل وعلا . فهذا يدل على عظمة هذه السورة ، ولهذا قال : ﴿ فإذا قال : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [11] قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ﴾ [12] .

٨- الفوائد المستنبطة منها

ومما يتعلق بهذه السورة ويدل على عظمتها ما قاله العلماء - رحمهم الله - : إن هذه السورة تشتمل على معان جليلة ، منها :

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٣ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٥) مسلم الصلاة (٣٩٥) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٥٣) ، أحمد (٢/٢٨٦) ، مالك النداء للصلاة (١٨٩) .
(٦) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٧) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٨) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٩) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(١٠) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(١١) سورة الفاتحة الآيتان : ٦، ٧ .
(١٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب الصلاة ، باب (١٠) ، رقم (٣٩٥) ، (٢/٣٢٤) .

أولا - فيها إثبات التوحيد بأنواعه الثلاثة : فقوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [(١)] هذا في توحيد الربوبية . وقوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [(٢)] هذا في توحيد الأسماء والصفات . وقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [(٣)] هذا في توحيد الألوهية . ففيها أقسام التوحيد الثلاثة .

ثانيا : - فيها إثبات الرسالة ؛ لأن قوله ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [(٤)] فيه إثبات ربوبيته لجميع خلقه .

ومقتضى ربوبيته أن لا يترك عباده بدون ما يصلحهم ، ومن أعظم ما يصلح العباد إرسال الرسل . كذلك قوله : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [(٥)] فإن الصراط المستقيم لا يتبين إلا بإرسال الرسل - عليهم الصلاة والسلام - . ففيها إثبات الرسالات .

ثالثا : فيها الرد على الطوائف الضالة .

ففيها الرد على الملاحدة والمعطلة الذين لا يؤمنون برب ؛ فإن قوله : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [(٦)] رد على الملاحدة الذين يرون أن العالم ليس له رب ، وإنما هو الذي يكون نفسه ! والطبيعة هي التي تكون هذه الأشياء وتوجدها ! ! وهذا مخالف للعقول ؛ لأنه لا يمكن وجود مخلوق بدون خالق ، ولا يمكن حصول فعل بدون فاعل أبدا . فهذا الكون كله وهذا الخلق يدل على الخالق - سبحانه وتعالى - ، وأنه هو الذي أوجده وصرفه ودبره وكونه .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٢) سورة الفاتحة الآيتان : ٣، ٤ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٥) سورة الفاتحة آية : ٦ .
(٦) سورة الفاتحة آية : ٢ .

وفيها رد على المشركين الذين يؤمنون بالرب لكن يشركون معه في العبادة ، وذلك في قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [3] ، هذا كله فيه رد على المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه غيره .

وفيها رد على الجهمية والمعتزلة ومنكري الصفات .

وفيها الرد على منكري البعث ، وذلك في قوله : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [4] ، والدين هنا هو الجزاء والحساب ، ففيها إثبات البعث .

وفيها الرد على اليهود والنصارى ومن سار على طريقهم من أخذ العلم وترك العمل ، أو أخذ العمل وترك العلم ، ففيها رد على كل عالم لا يعمل بعلمه ، ورد على كل عامل لا يعمل على علم ، ولهذا يقول العلماء : إن هذه السورة تضمنت الرد على جميع الطوائف ، فحق لها أن تسمى أم الكتاب ؛ لأن أم الشيء هي التي يرجع إليها الشيء ، والقرآن كله يرجع إلى هذه السورة ؛ لأن القرآن كله يدور على هذه المعاني التي تضمنتها هذه السورة .

وهذه السورة العظيمة كثير من الناس يقرؤها ويرددها على لسانه ، ولا يتدبرها ولا يفقه شيئا من معانيها ، وإنما هي ألفاظ تجري على لسانه كأنه كلام أعجمي ! ! وهذا من الخطأ الجسيم والخلل الكبير ، والقرآن إنما أنزل ليتدبر وتفهم معانيه . هذا والله أعلم .

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٥ .
(٣) سورة الفاتحة آية : ٦ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٤ .

الدرس الثالث

تفسير الآيات العشرين الأول من سورة البقرة

١ - تمهيد

هذه السورة الثانية في المصحف ، تسمى سورة البقرة ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - ذكر فيها قصة البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها لمعرفة قاتل القتيل الذي اشتبهوا في قاتله .

وهذه سورة عظيمة تضمنت علوما غزيرة في العقيدة والأحكام وقصص الأمم السابقة وغير ذلك . وقد حث النبي ﷺ على تعلمها ، فقال : « تعلموا سورة البقرة ؛ فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة » [١] [٢] أي : الشياطين لا يستطيعون البقاء في المكان الذي تقرأ فيه هذه السورة ؛ كما جاء في الحديث : « إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » [٣] [٤] .

ومعنى تعلمها وأخذها : تعلم قراءتا على الوجه الصحيح ومعرفة معانيها وتفسيرها ، وليس المراد مجرد القراءة ، أو تعلم القراءة فقط ، إنما المراد تعلم قراءتا وتعلم معانيها حتى يعمل با ، ولهذا يقول أحد الصحابة : (كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلم معانيها والعمل با ، قال : فتعلمنا العلم والعمل جميعا) [٥] هذا هو المقصود من تعلم البقرة وغيرها من القرآن ، تعلم القراءة على الوجه الصحيح ، وتعلم المعاني والتفسير ، بقصد العمل والامتثال .

---

(١) أحمد (٣٤٨/٥) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٩١) .
(٢) أخرجه أحمد من حديث بريدة : برقم (٢٣٣٣٨) (٦١٨/٧) .
(٣) مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٠) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٨٧٧) .
(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب صلاة المسافرين ، باب (٢٩) رقم (٧٨٠) (٣١٠/٣) .
(٥) كما حكاه عن جماعة منهم : أبو عبد الرحمن السلمي . أخرجه عنه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨٠/١) .

قوله تعالى : ﴿ الم ﴾ : افتتح الله هذه السورة بقوله : ﴿ الم ﴾ ، وهي من الحروف المقطعة ، افتتح الله بها كثيرا من السور ، ومن هذه الحروف :

﴿ الٓمٓصٓ ﴾[1]، ﴿ الٓمٓرۚ ﴾[2]، ﴿ حم ﴾ ، ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[3]، ﴿ طه ﴾[4]، ﴿ يسٓ ﴾[5]، ﴿ قٓۚ ﴾[6]، ﴿ صٓۚ ﴾[7]، ﴿ حم ﴾ ، ﴿ عٓسٓقٓ ﴾[8].

وقد اختلف العلماء فيها على أقوال ، نكتفي منها بقولين :

القول الأول : ذهب الجمهور إلى أنها تمر كما جاءت ؛ لأنها مما استأثر الله - تعالى - بعلمه فلا يبحث عنها ؛ لأنه لا دليل على البحث فيها وتعيين المراد منها .

القول الثاني : إن هذه الحروف إشارة إلى إعجاز القرآن ، وأن الله - سبحانه وتعالى - أنزل هذا القرآن مكونا من هذه الحروف التي ينطق بها العرب ويتخاطبون بها ، ومع هذا لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو مثل سورة أو آية منه ، فهذا إشارة إلى الإعجاز ؛ ولهذا - في الغالب - إذا جاءت هذه الحروف يأتي بعدها ذكر القرآن ، كما في هذه السورة : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾[9] ، وقوله في أول الأعراف : ﴿ الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾[10]

(١) سورة الأعراف آية : ١ .
(٢) سورة الرعد آية : ١ .
(٣) سورة مريم آية : ١ .
(٤) سورة طه آية : ١ .
(٥) سورة يس آية : ١ .
(٦) سورة ق آية : ١ .
(٧) سورة ص آية : ١ .
(٨) سورة الشورى آية : ٢ .
(٩) سورة البقرة الآيتان : ١، ٢ .
(١٠) سورة الأعراف الآيتان : ١، ٢ .

وقوله : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ ﴾ [(١)] ، وقوله : ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝ ﴾ [(٢)] ، وقوله : ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [(٣)] ، إلى غير ذلك . وهذا يدل على الإعجاز ، وهو أن القرآن مركب من مثل هذه الحروف ، ومع هذا عجزتم عن الإتيان بمثله أو بمثل سورة منه . وهذا القول وجيه ، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [(٤)] ذا اسم إشارة ، واللام للبعد ، والكاف حرف خطاب . أشار إلى الكتاب الذي هو القرآن إشارة تعظيم وإجلال ، أي الذي لا يشبهه غيره ، فهو أعظم كتاب نزل من الله سبحانه وتعالى .

ثم قال : ﴿ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ [(٥)] : نفى عنه الريب ، والريب : الشك ، فلا يتطرق إليه شك ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝ ﴾ [(٦)]

وقوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [(٧)] هذه صفة ثانية للقرآن ، والهدى معناه : الدلالة والإرشاد إلى الطريق الصواب ، فالقرآن فيه دلالة وإرشاد إلى طريق الحق وطريق الجنة . والهدى - كما ذكرنا - ينقسم إلى قسمين : هدى دلالة وإرشاد ، وهدى توفيق وإلهام ، أو هداية القلوب ، فهذا القرآن هدى للمتقين .

والمتقون : جمع متق ، وهو : من اتصف بالتقوى ، والتقوى : أن تجعل بينك وبين غضب الله وعذابه وقاية تقيك منه ، وذلك بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وعرف العلماء التقوى بأنا : أن تفعل ما أمرك الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك ما نى

(١) سورة ق آية : ١ .
(٢) سورة ص آية : ١ .
(٣) سورة السجدة الآيتان : ١، ٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢ .
(٦) سورة النساء آية : ٨٢ .
(٧) سورة البقرة آية : ٢ .

الله عنه على نور من الله تخاف من عقاب الله . هذه هي التقوى ، وحاصلها : أن تجعل بينك وبين المكروه وقاية ، بحيث لا يصل إليك ، فإن لم تحصل لك هذه الوقاية فإنك لا شك متوعد بالعذاب .

لماذا خص المتقين بالذكر مع أنه هداية لجميع الناس ؟ كما قال في أثناء هذه السورة : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ [1] أي : لجميع الناس ، بمعنى : أنه دل الناس على الخير ، فمن أراد الخير وجده ، ومن أعرض قامت عليه الحجة ؛ لأن الله هدى جميع الناس ، بمعنى أنه بين لهم ودلهم وأرشدهم ، فمنهم من انتفع ، ومنهم من لم ينتفع .

والجواب : أنه إنما خص المتقين ؛ لأنهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا به . وأما غيرهم فإنما قامت عليهم الحجة وانقطعت معذرتهم ، حيث لم يبق لهم عذر عند الله سبحانه وتعالى .

٢- أقسام الناس أمام هداية القرآن

ثم لما ذكر أن هذا القرآن هدى ، قسم الناس أمام هداية القرآن إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الذين آمنوا به ظاهرا وباطنا وامتثلوا أحكامه أمرا ونهيا .

القسم الثاني : الذين كفروا به ظاهرا وباطنا .

القسم الثالث : الذين آمنوا به ظاهرا وكفروا به باطنا .

القسم الأول : هم المتقون ، وذكر الله فيهم ثلاث آيات هي : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [2]

هذه ثلاث آيات ، تتضمن خمس صفات لهؤلاء :

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآيات : ٣-٥ .

الصفة الأولى : ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ (١) أي : يصدقون بما أخبر الله أو أخبر رسوله عنه من الغيوب التي لم يروها ، وإنما صدقوا بها اعتمادا على خبر الله وخبر رسوله ﷺ .

والغيب : كل ما غاب عن الناس ولم يشاهد من الأمور الماضية ، والأمور المستقبلة ، ومن العوالم الأخرى التي لم يروها وإنما أخبر الله عنها . وأول الإيمان بالغيب : الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - وبأسمائه وصفاته ؛ ذلك لأن المؤمنين لم يروا ربهم في هذه الدنيا ، وإنما آمنوا به وعرفوه بآياته الكونية ، وهي مخلوقاته التي تشاهد في هذا الكون دالة على وجوده وعظمته ، وبآياته القرآنية المتلوة في كتابه الم ل ، وقبل ذلك عرفوه بالفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ، والله - تعالى - هو الدليل على كل شيء ، ولا يحتاج إلى دليل على إثباته ، إلا من فسدت فطرته واجتالته الشياطين .

ومن الإيمان بالغيب : الإيمان بالملائكة ، وهم من المخلوقات التي يؤمن بها العبد ولم يشاهدها .

وكذلك الإيمان بالجن (العالم الثاني مع الإنس) فيؤمن بهم العبد وإن لم يرهم ؛ لأن الله أخبر عنهم وأخبر عنهم رسوله ﷺ .

وكذلك الإيمان بالغيوب الماضية ، مثل أخبار الأمم السابقة ، فالمؤمنون بذلك ما شاهدوا آدم ونوحا وإبراهيم والأنبياء وأقوامهم كعاد وثمود ، لكن الله أخبر عنهم ، وأخبر عنهم رسوله ﷺ وهم يؤمنون بذلك .

وكذلك الغيوب المستقبلية في آخر الزمان مما يكون قبل الساعة من الأشراط والعلامات وعذاب القبر ونعيمه ، وما في الآخرة من البعث والحساب والصراط والميزان والحوض والجنة والنار والحشر ، فيؤمنون به ويصدقون ؛ لأن الله - جل وعلا - أخبر به وأخبرت به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - .

(١) سورة البقرة آية : ٣ .

فهم يؤمنون بالغيب سواء أدركته عقولهم أم لم تدركه ، والإيمان بالغيب مبني على التسليم لله ؛ لأن الغيوب لا يتوصل إليها بالعقل وإنما طريقها الإخبار . أما الذي لا يؤمن إلا بما يوافق عقله ، وما يخالف عقله رفضه ، فهذا ليس بمؤمن ؛ قال تعالى عن هؤلاء : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [1] وأعظم منه ظلما وكفرا الذي لا يؤمن بالغيب أصلا ولا يصدق إلا بما يرى من المحسوسات ، فهذا ملحد معطل كافر بالله ورسوله ﷺ .

والذي لا يؤمن بالغيب لأن عقله لم يدركه هذا غير مؤمن ولم يسلم لله - تعالى - ولرسوله ، والعقل له طاقة محدودة ، وهناك أمور لا يدركها ولا يطيقها ، وإنما يدرك بقدر طاقته فقط .

الصفة الثانية : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [2] : الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، وقال : ويقيمون : ولم يقل : ويصلون ؛ لأنه ليس المقصود من الصلاة صورتا ، وإنما المقصود إقامتها .

ومعنى إقامتها : الإتيان با كما شرع الله - سبحانه وتعالى - بشروطها وأركانا وواجباتا وسننها ، وهذه إقامة ظاهرة ، ولا بد مع ذلك من إقامتها باطنا ، وذلك بالخشوع فيها وحضور القلب .

فإقامة الصلاة نوعان :

١ - إقامة ظاهرة : وذلك بالإتيان بشروطها وأركانا وواجباتا وسننها .

٢ - وإقامة باطنة : وهي حضور القلب وخضوعه فيها ، فإن من صلى بدون خشوع ولا حضور قلب فإنه لا يكتب له من الأجر إلا بمقدار ما عقل من صلاته وخشع فيه ، ولو أقامها ظاهرا بشروطها وأركانا ، فإن المعول عليه الإقامتان معا .

---

(١) سورة يونس آية : ٣٩ .

(٢) سورة البقرة آية : ٣ .

الصفة الثالثة : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [1] والقرآن - غالبا - يذكر الإنفاق والصدقة مع الصلاة ؛ لأن الصلاة إحسان فيما بين العبد وبين ربه ، والإنفاق إحسان فيما بين العبد وبين الناس . فهم يحسنون فيما بينهم وبين الله بإقام الصلاة ، ويحسنون فيما بينهم وبين الخلق بالإنفاق .

وقوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ [2] " من " : تبعيضية ، أي : بعض ما رزقناهم ؛ لأنه ليس المطلوب أن تنفق كل مالك ؛ بل المطلوب أنك تنفق بعض مالك ، ولهذا عبر بمن التبعيضية .

و " ما " : موصولة بمعنى الذي ، وقوله : رزقناهم : فيه إشارة إلى منة الله عليهم ، وأن المال لم يحصل لهم بحولهم وقوتم ومعرفتهم ، وإنما رزقهم الله إياه ، فالفضل فيه لله سبحانه وتعالى .

ينفقون : الإنفاق في اللغة : الإخراج ، سمي التصدق إنفاقا ؛ لأن الإنسان يخرجه من ماله ، يقال : نفقت الدابة إذا ماتت وخرجت روحها ، وسميت النفقة نفقة لأنا تخرج من المال ، ومنه النفاق وهو الخروج من الإيمان . فمعنى ينفقون : يخرجون من أموالهم الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارات ، والنفقة على الزوجة والأولاد والأقارب . ويخرجون أيضا الصدقة المستحبة ، صدقة التطوع ، كالصدقة على المحتاجين وفي سبيل الله سبحانه وتعالى .

وقال : ينفقون : ولم يذكر المنفق عليه ؛ ليعم كل وجوه الإنفاق التي أمر الله - جل وعلا - بالإنفاق فيها .

الصفة الرابعة : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [3] : هذا في الذين آمنوا بالرسول ﷺ من أهل الكتاب ؛ حيث آمنوا بالكتابين ، هؤلاء يعطيهم الله

---

(1) سورة البقرة آية : ٣ .
(2) سورة البقرة آية : ٣ .
(3) سورة البقرة آية : ٤ .

أجرهم مرتين ؛ قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ (٢) يؤتيهم الله أجرهم مرتين : أجرا على الإيمان السابق ، وأجرا على الإيمان اللاحق . وقال - تعالى - في آية أخرى يخاطب هؤلاء المؤمنين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣) .

فقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ (٤) يعني : القرآن . ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (٥) أي : من الكتب السابقة . فالذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به كالنجاشي وعبد الله بن سلام وغيرهم من الذين آمنوا بالرسل السابقين ، ثم آمنوا بمحمد ﷺ .

الصفة الخامسة : ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (٦) : الآخرة : يوم القيامة ، سميت الآخرة لأنا بعد الدنيا . والدنيا سميت بذلك لأنا اليوم الأدنى . وهذا الوصف داخل في الإيمان بالغيب المتقدم في قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ (٧) ، وإنما أعاد ذكره اهتماما وتأكيدا للإيمان به ، ولأن من آمن باليوم الآخر استعد له بالعمل الصالح والتوبة من الأعمال السيئة .

والإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة .

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٧ .
(٢) سورة القصص الآيتان : ٥٣ ، ٥٤ .
(٣) سورة الحديد آية : ٢٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ٤ .
(٥) سورة البقرة آية : ٤ .
(٦) سورة البقرة آية : ٤ .
(٧) سورة البقرة آية : ٣ .

هذه خمسة أوصاف للصنف الأول : الذين آمنوا بالقرآن ظاهرا وباطنا .

ثم بين - سبحانه وتعالى - جزاءهم فقال : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [(١)] ، هذا في الدنيا ، أي : يسيرون على طريق صحيح واضح لا اعوجاج فيه . ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ ﴾ [(٢)] ، يعني : في الآخرة بالجنة . والفلاح هو : الفوز والحصول على الأجر العظيم . وحصر الفلاح فيهم بقوله : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ ﴾ [(٣)] ، وأما غيرهم فلا فلاح ولا صلاح لهم . هذا القسم الأول .

القسم الثاني : الذين كفروا بالقرآن ظاهرا وباطنا ، وفيهم آيتان تبدآن بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [(٤)] ، الكفر : عدم الإيمان ، والامتناع من الدخول فيه ، وهو في الأصل من الكفر وهو الستر ، يقال : كفر الشيء إذا ستره ، وتكفير السيئات سترها وتغطيتها ، ومحوها وإزالتها ، وسمي الزارع كافرا ؛ لأنه يغطي البذور بالدفن في الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ [(٥)] أي : الزراع .

والذين لم يدخلوا في الإيمان ولم يجيبوا داعي الله ، إنما سموا كفارا ؛ لأنهم ستروا الحق وأخفوه ولم يقبلوه . ولأن كثيرا منهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ [(٦)] ، وقال : ﴿ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝ ﴾ [(٧)] .

---

(١) سورة البقرة آية : ٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ٦ .
(٥) سورة الحديد آية : ٢٠ .
(٦) سورة النمل آية : ١٤ .
(٧) سورة الأنعام آية : ٣٣ .

والكفر يكون بالتعطيل وإنكار الخالق - جل وعلا - ، ويكون بالشرك مع الله - سبحانه وتعالى - ، ويكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ، وهي كثيرة . فالكفر يكون بالجحود ، ويكون بالعناد ، ويكون بالاستكبار ، ويكون بالنفاق ، ويكون بالقول وبالفعل وبالاعتقاد وبالشك . والكفر : أنواع يجمعها " عدم الإيمان " .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (١) أي : أبوا أن يقبلوا هدى الله - سبحانه وتعالى - ، هؤلاء لا حيلة فيهم : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ ﴾ (٢) لأنهم لما عرفوا الحق أول مرة ولم يستجيبوا عاقبهم الله بحرمانهم من الإيمان فلا يهتدون بعد ذلك أبدا .

قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾ (٣) وختم الشيء معناه : إغلاقه بحيث لا يدخل إليه شيء ولا يخرج منه شيء ، و ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ (٤) أي : أغلقها بالخاتم ، أو بالختم ، فلا ينفذ إليها النور ، ولا يصل إليها الإيمان ؛ بسبب إعراضهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٥) فمن تبين له الحق وأعرض عنه ، عوقب بالحرمان فلا يقبله بعد ذلك .

وما دام الله ختم على قلوبهم وسد المنافذ التي توصل الخير إليها فلا فائدة من دعوتهم ؛ بل ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝ ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ ﴾ (٧) أي : وختم على سمعهم ، فلا يسمعون سماع قبول واهتداء وإن كانوا يسمعون الصوت بآذانهم ، لكن لا يسمعون سماع قبول وانتفاع ،

(١) سورة البقرة آية : ٦ .
(٢) سورة البقرة آية : ٦ .
(٣) سورة البقرة آية : ٧ .
(٤) سورة البقرة آية : ٧ .
(٥) سورة الأنعام آية : ١١٠ .
(٦) سورة يس آية : ١٠ .
(٧) سورة البقرة آية : ٧ .

حرمهم الله فائدة الأسماع - والعياذ بالله - كما قال سبحانه : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [1] .

قوله : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ ﴾ [2] على أبصارهم خبر مقدم ، و غشاوة مبتدأ مؤخر ، وهي جملة مستأنفة . والغشاوة : الغطاء ، أي : جعل على أبصارهم غطاء يحول بينهم وبين الانتفاع بما يشاهدون من آيات الله ، فلا يبصرون إبصار انتفاع : لا ينظرون في آيات الله ويستفيدون من النظر فيها ، وإنما نظرهم كنظر البهائم تنظر إلى الأشياء ولكن لا تدرك الحكمة منها والسر فيها . فحرمهم الله نعمة القلوب ، ونعمة الأسماع ، ونعمة الأبصار ، والسبب هو : أنهم كفروا ولم يقبلوا الحق .

وفي هذا تحذير عن الإعراض عن الحق لكل من سمعه ؛ لأن ذلك الإعراض سبب لحرمانه من الهداية ، فيظل مغلق القلب مختوما عليه كما حرم هؤلاء وختم على قلوبهم .

ثم قال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [3] : هذا جزاؤهم في الآخرة ، عذاب لا يعلم عظمه إلا الله سبحانه وتعالى . هذا القسم الثاني عاقبهم الله في الدنيا عقوبة عاجلة بحرمانهم من الانتفاع بحواسهم ، وعقوبة آجلة في الآخرة بالعذاب العظيم في النار .

القسم الثالث : الذين آمنوا بالقرآن ظاهرا ، وكفروا به باطنا . وهؤلاء هم المنافقون ، وهم شر ممن قبلهم ، شر من الكفار وأخطر ؛ لأن الكفار يعلم أنهم كفار فيؤخذ الحذر منهم ، لكن هؤلاء لا يعلم المسلمون أنهم كفار ؛ لسلامة ظاهرهم ، واختلاطهم بالمسلمين فيحسنون الظن بهم ولا يحذرونهم ، وهم يفسدون في الأرض . فخطرهم أشد من خطر الكفار ، ولهذا أنزل الله فيهم ثلاث عشرة آية ، من قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ [4] إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧١ .
(٢) سورة البقرة آية : ٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ٧ .
(٤) سورة البقرة آية : ٨ .

﴿ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [1] ؛ وذلك لخطرهم وقبحهم ، وأنهم أقبح من الكفار الأصليين ، ولهذا قال - جل وعلا - : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾ [2] ﴿ ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ ﴾ [3] ، أي : تحت الكفار وعبدة الأصنام . والعياذ بالله .

والنفاق هو : إظهار الخير كالإيمان والصلاح وإخفاء الشر كالكفر والرياء في القلب .

وهو ينقسم إلى قسمين : نفاق اعتقادي ، ونفاق عملي .

أ - النفاق الاعتقادي هو : إظهار الإيمان وإبطان الكفر . والمتصف بذا هو الذي يكون في الدرك الأسفل من النار . والعياذ بالله .

ب - أما النفاق العملي فهو ؛ الاتصاف بصفة من صفات المنافقين ، وهذا يكون من بعض المؤمنين ، فالمتصف به مؤمن باطنا وظاهرا ، وهذا يسمى نفاقا أصغر ، ونفاقا عمليا . من ذلك قوله ﷺ : ﴿ آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ﴾ [4] [5] وفي رواية : ﴿ وإذا خاصم فجر ﴾ [6] ، وفي رواية : ﴿ وإذا عاهد غدر ﴾ [7] [8] فهذه الصفات إذا صدرت من مؤمن فإنه يكون عنده نفاق عملي ينقص إيمانه ، وقد يجره - والعياذ بالله - إلى النفاق الاعتقادي . ولهذا خافه النبي ﷺ على أصحابه وكان الصحابة يخافون خوفا شديدا من هذا النفاق ؛ لأن الواجب على المؤمن

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٠ .

(٢) سورة النساء آية : ١٤٥ .

(٣) سورة النساء آية : ١٤٥ .

(٤) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٣٥٧/٢) .

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٦) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٧) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٨) هاتان جملتان من حديث أبي هريرة المتفق عليه : (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا . . .) الحديث سيأتي تخريجه .

الصراحة في الحق ؛ لأنا إذا اجتمعت فيه دلت على تأصل النفاق العملي فيه الموجب للنفاق الاعتقادي ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا . . . ﴾ [(١)] فلا يكون عنده ظاهر وباطن يخالفه ولا يتصف بصفات المنافقين : بالكذب ، وإخلاف الوعد ، وخيانة الأمانة ، والغدر بالعهود .

وقد قال ﷺ محذرا من صفات النفاق : ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ﴾ [(٢)] [(٣)] نسأل الله العافية . فالواجب على المسلم أن يحذر من النفاق ، وأن يتجنب صفات المنافقين ، ولا يقل : أنا مؤمن على الإطلاق ؛ فالمؤمن قد يدخل عليه شيء من صفات المنافقين لنقص إيمانه ، ولكن ليقل أنا مؤمن إن شاء الله . ونحوها .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [(٤)] أي : بأفواههم ، قال - تعالى - : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ ﴾ [(٥)] يعني : في قلوبهم ، إنما أظهروا الإيمان وأخفوا ضده وهو الكفر ، ومن لم يؤمن بقلبه فليس بمؤمن .

٣- متى وقع النفاق في الإسلام

يقول العلماء : إن النفاق العقدي لم يقع في مكة ؛ لأن المسلمين كانوا مستضعفين في مكة ، فلا يسلم في مكة إلا صادق الإيمان ؛ لأنه بإسلامه معرض للفتن والاضطهاد .

---

(١) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٢) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو : البخاري : كتاب الإيمان باب (٢٤) ، (١٢١/١) . ومسلم : كتاب الإيمان باب (٢٥) ، رقم (٥٨) (٢٣٤/١) .

(٤) سورة البقرة آية : ٨ .

(٥) سورة البقرة آية : ٨ .

فليس ثم حاجة لأن ينافق . وكذلك في أول الهجرة ما حصل نفاق ، لكن لما جاءت واقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة ، وانتصر المسلمون فيها ، وقويت شوكتهم ، رأى الكفار الذي يعيشون في المدينة أن استمرارهم على كفرهم يعرضهم للخطر ، فلم يسعهم إلا أن يقبلوا الإسلام ظاهرا لأجل أن يعيشوا مع الناس ، وتحقن دماؤهم ، وما آمنوا بقلوبهم ، ولكن أظهروا الإيمان حيلة وحفظا لمصالحهم .

قوله - تعالى - : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [١] الخداع ، والمخادعة : أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن . وقصد المنافقين من مسلكهم هذا المخادعة ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [٢] ، والله جل وعلا لا يخدع .

قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [٣] أي : ويخادعون الذين آمنوا .

قوله : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [٤] : أي : عملهم هذا إنما ضرره على أنفسهم ؛ لأن الواجب على الإنسان أن ينصح لنفسه ، وأن ينقذها من عذاب الله . لكن المنافقين خدعوا أنفسهم ؛ حيث عرضوها لغضب الله سبحانه وتعالى .

قوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [٥] ، أي : وما يدرون أن عملهم هذا سينتكس عليهم .

قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم ﴾ [٦] هذا هو سبب النفاق : المرض الذي في قلوبهم . والقلب يمرض ، ومرضه أشد من مرض الجسم ، وذكر العلماء أن مرض القلب نوعان : مرض شهوة ، ومرض شبهة .

---

(١) سورة البقرة آية : ٩ .
(٢) سورة النساء آية : ١٤٢ .
(٣) سورة البقرة آية : ٩ .
(٤) سورة البقرة آية : ٩ .
(٥) سورة البقرة آية : ٩ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٠ .

١ - مرض الشبهة : يكون بالشكوك والكفر والنفاق وسوء الظن بالله ﷻ وسوء الظن بالمسلمين .

٢ - مرض الشهوة : أن يحب الشهوات المحرمة ، مثل : الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، والغيبة ، والنميمة ، ونحو ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ (١) أي : مرض الشهوة . والعياذ بالله .

ومرض الشبهة أشد من مرض الشهوة ؛ لأن مرض الشبهة لا يتوب صاحبه في الغالب ، بخلاف مرض الشهوة فقد يتوب صاحبه ، ويصلح عمله .

فقوله : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ (٢) : أي مرض الشبهة ، ومرض الشهوة ، كلا المرضين فيها .

قوله : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (٣) : عقوبة لهم ؛ حيث إنم كفروا بآيات الله سبحانه وتعالى . وقلوبم فيها المرض من قبل ، فلما كفرت بآيات الله زاد مرضها ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ (٤) ؛ لأنم أصبحوا يستهزؤون با ، ويسخرون منها ، ولا يؤمنون با فزاد مرضهم - والعياذ بالله - على مرض سابق ، فتضاعف عليهم المرض .

قوله : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ ﴾ (٥) : هذه عقوبة ثانية ، عذاب في الآخرة وعذاب في الدنيا . و ﴿ أليم ﴾ : بمعنى : مؤلم موجع ، وبين سبب هذا العذاب بقوله : ﴿ بِمَا

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٠ .
(٤) سورة التوبة الآيتان : ١٢٤، ١٢٥ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٠ .

كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [1] : في إيمانهم . كيف يكذبون ؟ لأنهم أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر . وهذا كذب ، بل هذا أعظم الكذب . وفي قراءة : " بما كانوا يكذبون " أي : يكذبون بآيات الله سبحانه وتعالى .

ومن صفاتهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [2] أي : إذا نهوا عن النفاق ؛ لأن النفاق والكفر والمعاصي إفساد في الأرض ؛ لأنها تسبب النكبات والعقوبات ، تسبب حبس الأمطار وغور المياه ، ويبس الأشجار وانقطاع الثمار ، تسبب اختلال الأمن وانقطاع السبل ؛ كما قال - تعالى - : ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ [3] ، فالكفر والمعاصي والنفاق إفساد في الأرض ، والطاعة والإيمان والعمل الصالح إصلاح في الأرض . ولهذا قال : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [4] أصلحها الله بالوحي والنبوة والإيمان ، فالذي يعصي الله ويكفر به مفسد في الأرض .

فمعنى قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [5] : اتركوا ما يكون سبب لفسادها وهو النفاق ، وآمنوا بالله ظاهرا وباطنا كما آمن الناس ، أي الصحابة رضي الله عنهم .

قوله : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [6] : وهذا من انتكاس الفطر ، يعدون النفاق والكفر إصلاحا في الأرض ! !

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ١١ .
(٣) سورة الروم آية : ٤١ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٥٦ .
(٥) سورة البقرة آية : ١١ .
(٦) سورة البقرة آية : ١١ .

فيقولون : إنما نحن بعملنا هذا الذي هو النفاق والكفر مصلحون ، من أجل أن نعيش في هذه الدنيا ، ويندفع عنا القتل . وهذا بزعمهم إصلاح ! !

فقال الله - تعالى - ردا عليهم : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ (١) عكس الله عليهم دعواهم ، وحصر الإفساد فيهم ، فهم وحدهم المفسدون بنفاقهم وكفرهم ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢) لا يدرون أن هذا إفساد ، بل يعتقدونه إصلاحا .

واليوم أصحاب الشهوات وأصحاب المطامع الخبيثة ، يريدون أن يحولوا المسلمين إلى المذاهب الباطلة ، وإلى تعطيل الشريعة ، وإلى الجرائم وفساد الأخلاق ، ويقولون : هذا إصلاح ! ويسمون الإيمان والتمسك بالدين جفاء وتحجرا ، ورجعية وتأخرا ! إلى آخر ما يقولون . ما أشبه الليلة بالبارحة ! يريدون أن يحولوا الحكم بما أنزل الله إلى الحكم بالقانون ، ويقولون : هذا إصلاح ! يريدون أن يخلعوا الحجاب عن النساء ويتركوهن سافرات في الشوارع ، ويتولين أعمال الرجال ، ويسافرن إلى أي محل ، ويقولون : هذا إصلاح ! هذا رقي وتقدم ! هذا تحضر ! وهذا عمل الأمم الراقية ! أما إن تعارضوا هذا الأمر فهذا هو الإفساد بزعمهم ! ! هذا هو نفس الذي ذكره الله عن المنافقين في هذه السورة ، وفي قوله : ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (٣) .

وهؤلاء الذين يقولون هذه المقالات الآن هم منافقون ؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويخفون في قلوبهم محاربة الله . نسأل الله العافية .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ (٤) آمنوا بالله ورسوله كإيمان الصحابة - رضي الله عنهم - ، سماهم الله الناس ؛ لأنهم هم الناس في الحقيقة .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٢ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٢ .
(٣) سورة النساء آية : ٦٢ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٣ .

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ﴾ [(١)] : يسمون الصحابة : السفهاء ! لماذا ؟ لأنهم آمنوا والتزموا بدين الله : يصلون ويصومون ، ويحجبون نساءهم ، ويتجنبون الحرام والربا والغش في المعاملات ، ويتجنبون الاحتيال والمكر والخديعة . والمنافقون يقولون : هؤلاء سفهاء ! !

والسفهاء جمع سفيه ، والسفيه هو : ناقص العقل ، خفيف العقل ، أصله من السفاهة وهي خفة العقل ، فهم يصفون الصحابة بخفة العقل ؛ لأنهم ليس عندهم مكر وخديعة ، ونفاق وتملق ، واحتيال على أوامر الله - تعالى - ونواهيه . فهؤلاء السفهاء عندهم ! !

قوله : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ [(٢)] : حصر السفاهة فيهم هم ؛ لأنهم الذين ضروا أنفسهم ، والسفيه هو الذي يضر نفسه ، فهؤلاء هم ضروا أنفسهم بالنفاق والخديعة والمكر . فأي الفريقين سفيه ؟ الذين آمنوا بالله ورسوله وصلحوا وأصلحوا ، أم الذين نافقوا ولم يؤمنوا ؟ لا شك أن الذي لم يؤمن هو السفيه . فالمنافقون هم السفهاء .

قوله : ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣ ﴾ [(٣)] : لأن الله تعالى طمس على قلوبهم فلا يميزون بين الحق والباطل ، والسفاهة والرشد ، يعتقدون الرشد سفاهة ، والسفاهة رشدا ؛ لأن عقولهم مرضت ، وقلوبهم فسدت فلا تميز بين الحق والباطل . هذه هي بعض صفاتهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ ﴾ [(٤)] . ثم ذكر - تعالى - من صفات المنافقين : استعمال الوجهين : فيأتون المؤمنين بوجه ، ويأتون الكفار بوجه ، ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [(٥)] أي أظهروا الإيمان : صلوا وصاموا ، وعملوا الأعمال التي أمر بها الإسلام ، يفعلون هذا في

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٤ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٤ .

الظاهر من أجل خديعة المؤمنين ، ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ ﴾ [1] : خلوا إلى مردة الكفار ، والشيطان يوصف به الجن ، ويوصف به الإنس ، وشياطين الإنس أشد ضررا ، فالمراد بشياطينهم : مردة الكفار من المشركين ، واليهود ، والنصارى ، إذا خلوا إليهم ولم يكن معهم أحد من أهل الإيمان ، صرحوا بالحقيقة ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [2] أي : ما فارقناكم ، إنا على عقيدتكم ، لكن خدعنا هؤلاء ، وأظهرنا لهم الإيمان استهزاء ، ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [3] مستهزئون بإظهار إيماننا أمامهم ، نسخر بهم ، ونستهزئ بهم ، ونخدعهم ، وهم يصدقوننا .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [4] أي : يستدرجهم ويمهلهم ويعطيهم شيئا من الخير خديعة لهم ، ثم يحل بهم العقوبة الرادعة هذا هو الاستهزاء بهم .

والاستهزاء من الصفات التي لا تطلق على الله إلا في مقام المقابلة ، فالله لا يوصف بالاستهزاء ، لكن يوصف بأنه - سبحانه - حكم عدل ، يوصل الجزاء إلى من يستحقه على وجه لا يشعر به ، ومن ذلك أن المنافقين يعطون شيئا مما أرادوا في الدنيا ، من حقن دمائهم ، وحماية أموالهم . لكن لهم العاقبة الوخيمة .

كذلك في الآخرة يعطون شيئا من النور في بداية الأمر ، ثم يسلب منهم فيصبحون في ظلمة ، كما قال - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾ [5] ، ينطفئ نورهم . والعياذ بالله . ولهذا يقول المؤمنون : ﴿ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) سورة البقرة آية : ١٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٤ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٥ .
(٥) سورة الحديد آية : ١٣ .

﴿ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1] ، إذا انطفأ نور المنافقين خاف المؤمنون فدعوا ربهم بإتمام نورهم .

قوله : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾ [2] : يستدرجهم ويزيدهم ، فلا يعاجلهم بالعقوبة ، ولا يفضح أمرهم ، وذلك من أجل أن يستمرئوا النفاق . ويستسيغوه . والطغيان هو : الخروج عن الحق .

وقوله : ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ [3] : أي : لا يهتدون أبدا ، والعمه هو : الضلال الشديد . والعياذ بالله . ثم ذكر لهؤلاء المنافقين مثلين ؛ لتوضيح حالهم للسامع :

المثل الأول ذكره بقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [4] ، شبههم بمن كان في صحراء مظلمة ، فاستوقدوا نارا يعني : أوقدوا النار ، أو طلبوا من المؤمنين نارا ليوقدوها ، فأوقدوها وانتفعوا بها في أول الأمر ، ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ [5] ورأى ما حوله وتبصر ، انطفأت النار فجأة ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [6] وهذا من استهزاء الله - سبحانه وتعالى - بهم .

المثل الثاني : مثل إنسان أصابه صيب ، أي : مطر فيه ظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة السحاب ، وظلمة المطر ، فهو واقع في ظلمات . هذا مثل المنافقين ، هم في ظلمات : ظلمة الكفر ، وظلمة النفاق ، وظلمة الشك ، وظلمات كثيرة . وهذا هو المراد بقوله :

---

(١) سورة التحريم آية : ٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٥ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٧ .
(٥) سورة البقرة آية : ١٧ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٧ .

﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [1] : يعني بالسماء : السحاب . ﴿ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ [2] ، فيه رعود شديدة ، وفيه برق شديد ، فهم وقعوا في رعب شديد : ظلمات لا يبصرون معها ، ورعد شديد قاصف يخشون أن يصعقهم ، والعياذ بالله ، وبرق شديد خاطف يخطف أبصارهم .

قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾ [3] ، إذا أضاء الأرض مشوا فيه ينظرون الطريق . ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾ [4] : يعني : وقفوا ؛ لأنهم لا يبصرون .

هذا مثل المنافق : إن جاءه من الإسلام خير عاجل تمسك به ، وإن أصابته فتنة ، أو أصابه ضر أو محنة ، فإنه يتوقف ويشك في الإسلام .

فمعنى قوله : ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ ﴾ [5] : إذا حصل لهم محن وشدائد وامتحان من الله ﷻ فإنهم يشكون في هذا الإسلام ، ويقولون : هذا ما جاءنا بخير . فمثلهم كمثل الذي أصابه الصيب في الليل ، وحصل عنده هذه الإفزاعات ، إذا أضاء له البرق مشى ، وإذا انقطع البرق وقف ؛ لأنه لا يدري أين يذهب ، وهؤلاء مثله ، إذا جاءهم من الإسلام خير استمروا فيه ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾ [6] فمدعي الإيمان لا بد أن يمتحن في هذه الدنيا ؛ ليظهر صدق إيمانه من كذبه ، فالذي إيمانه غير صحيح ، ينقلب على عقبيه ويكفر ، كالمنافق . وأما الصادق الإيمان فهذا ثابت : إن

(١) سورة البقرة آية : ١٩ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٠ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠ .
(٦) سورة الحج آية : ١١ .

أصابه خير شكر ، وإن أصابه ضر صبر ، هذا هو المؤمن . أما المنافق فهو بالعكس : إن أصابه خير أظهر الاطمئنان ، وإن أصابته فتنة ، كفر بالله - والعياذ بالله - وظهر ما عنده من المكنون ، ظهر النفاق الذي في قلبه .

والله - سبحانه - أنزل في المنافقين كثيرا من الآيات ، أنزل فيهم سورة التوبة التي تسمى الفاضحة ؛ لأنها فضحتهم ، وسورة " إذا جاءك المنافقون " إضافة إلى ما جاء عنهم في سورة النساء ، وآل عمران ، والعنكبوت ، وغيرها ، وكثير من آيات القرآن فيها بيان حال المنافقين ، وذلك لخطرهم على المسلمين ، ولأجل أن يحذرهم المسلمون . وما أكثرهم - لا كثرهم الله - الآن ، يعيشون بيننا ، ويبثون سمومهم وشرهم ، وهم أناس من بني جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، وهم يتسمون بالإسلام وبالإيمان . نسأل الله العافية .

الدرس الرابع
الإسلام العام في القرآن الكريم

١ - معنى الإسلام

الإسلام يراد به : ما يقابل الشرك والكفر والأديان الباطلة ، فإذا قيل : دين الإسلام فالمراد به : ما يقابل الأديان الأخرى الباطلة .

وتعريفه في اللغة : الانقياد ، يقال : أسلم واستسلم إذا انقاد .

وفي الشرع هو : " الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك وأهله " .

فإن المسلم لا يجمع بين الاستسلام لله ولغيره . ولهذا من استسلم لله ولغيره فهو مشرك ، ومن أبى أن يستسلم لله فهو مستكبر ؛ قال الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [(١)] ، هذا هو الإسلام : الإخلاص لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله ، يعني : أهل الشرك فيبغضهم ويعاديهم لله عز وجل .

وهو بهذا التعريف يشمل جميع دين الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، فالرسل كلهم على دين الإسلام ، كلهم مستسلمون لله بالتوحيد ، منقادون له بالطاعة ، مخلصون له العبادة ، متجنبون للشرك ومعادون لأهله . فكلهم مسلمون ، ودينهم هو الإسلام ، وإن اختلفت شرائعهم ، فإن الإسلام هو : الانقياد لله بعبادته ، حسب ما شرعه في كل وقت . والشرائع وإن اختلفت حسب حكمة الله ، وحسب مصالح العباد ، إلا أنا كلها لله عز وجل وكلها من تشريعه .

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٢ .

ولهذا وصف الله - تعالى - نوحا بأنه مسلم ؛ قال تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (١) أي : المستسلمين لله ، والمنقادين له بالطاعة .

وقال عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٢) .

وحكى عنه وعن إسماعيل أنما قالا : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٣) .

وحكى عن يعقوب أنه قال : ﴿ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (٤) ، أي مخلصون له العبادة ، منقادون له بالطاعة .

وحكى عن موسى - عليه الصلاة والسلام - أنه قال : ﴿ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (٥) ، أي : منقادين لله ﷻ موحدين لله مخلصين له العبادة .

وقال عن بني إسرائيل لما ذكر التوارة : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾ (٦) ، أسلموا أي : انقادوا لله .

---

(١) سورة يونس الآيتان : ٧١، ٧٢ .
(٢) سورة آل عمران آية : ٦٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٢٨ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٣٢ .
(٥) سورة يونس آية : ٨٤ .
(٦) سورة المائدة آية : ٤٤ .

إذا فالإسلام بمعناه العام يطلق ويراد به : دين جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وإن اختلفت شرائعهم ، فالإسلام هو : عبادة الله بما شرع في كل وقت بحسبه .

فعبادة الله بشريعة التوارة ، وعبادة الله بشريعة الإنجيل ، وعبادة الله بكل شريعة شرعها - سبحانه وتعالى - لأنبيائه كل هذا إسلام ، وإنما تعددت الشرائع كما قال - تعالى - : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ (1) ، لكن إذا نسخ شيء من هذه الشرائع فإن المنسوخ لا يجوز العمل به ، ومن عمل به لا يكون مسلما ، وإنما يكون مسلما إذا عمل بالناسخ ؛ لأن العبد مأمور ومنهي ، وهو يتبع ما أمر الله به بالامتثال وما نهى عنه بالاجتناب ، هذا هو العبد . أما الذي يتبع هواه ويتبع رغبته ، ويتعصب لما هو عليه أو عليه آباؤه ، وإن كان في الأصل مشروعا ثم نسخ ، فهذا لا يكون عبدا لله ولا يكون مسلما ، فإنه إذا نسخ انتهى العمل به ، فمن بقي على الدين المنسوخ فإنه يكون غير مسلم ، بل لا بد أن ينتقل إلى الدين الناسخ .

خذ مثلا لذلك : كانت الصلاة في أول الإسلام إلى بيت المقدس ، وكان النبي ﷺ والمسلمون يستقبلون بيت المقدس بأمر الله ، وفعلهم هذا إسلام ، فلما نسخت القبلة وحولت إلى الكعبة (2) صار حكم الإسلام هو التوجه إلى الكعبة ، فمن بقي متوجها إلى بيت المقدس لم يكن مسلما بعد النسخ ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴾ (3) ، فالدين اتباع للرسول ، وليس هو تعصب للهوى ، ولهذا لما نسخت القبلة كان أناس يصلون العصر إلى بيت المقدس على الأصل ، فجاءهم مخبر فأخبرهم أن القبلة حولت إلى الكعبة المشرفة ، فاستداروا وهم

---

(1) سورة المائدة آية : ٤٨ .

(2) كما في حديث البراء المتفق عليه : البخاري : كتاب التفسير ، سورة البقرة آية (١٤٨) باب (١٨) ، رقم (٤٤٩٢) ، (٢١٨/٨) . ومسلم : كتاب المساجد ، باب (٢) ، رقم (٥٢٥) ، (١٣/٣) .

(3) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

في الصلاة [1] فكان أول الصلاة إلى بيت المقدس ، وآخر الصلاة إلى الكعبة . لأنهم صلوا أول الصلاة إلى بيت المقدس بناء على الأصل حيث لم يبلغهم خبر تغيير القبلة ، ولما بلغهم الخبر انقادوا وتحولوا إلى الكعبة وهم في الصلاة ، ولو استمروا بعد الخبر إلى بيت المقدس بطلت صلاتهم . هذا هو الاستسلام والانقياد لله - جل وعلا - .

فالله - جل وعلا - يشرع في كل وقت ما تقتضيه المصلحة لعباده تبعا لحكمته - سبحانه وتعالى - وعليهم الامتثال ؛ لأن السعادة كل السعادة في اتباع ما أمر الله - تعالى - به ، فالمسلم يدور حيثما دار شرع الله - سبحانه وتعالى - .

أما الذي يتبع هواه ويتبع رغبته فهذا عبد لهواه ، وليس عبدا لله - سبحانه وتعالى - ؛ كما قال - تعالى - : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [2] .

هذا هو أصل الإسلام ، وهو دين جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، ثم لما بعث محمد ﷺ صار الإسلام هو ما جاء به ، ونسخت الأديان السابقة . فالإسلام ناسخ لما قبله ، فمن بقي على اليهودية أو النصرانية فإنه يكون كافرا ؛ لأنه بقي على دين قد نسخ ، وقد أمر الناس جميعا باتباع هذا الرسول ﷺ وما جاء به من الشرائع الإسلامية ، فلا يجوز لليهود أن يبقوا على اليهودية ، ولا يجوز للنصارى أن يبقوا على النصرانية ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ﴾ [3] [4] ؛ لأن الله أخذ الميثاق على الرسل وعلى الأنبياء جميعا إذا بعث محمد ﷺ ومنهم أحد موجود أن يتبعه ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟

---

(١) كما في حديث ابن عمر المتفق عليه : البخاري : كتاب الصلاة ، باب (٣٢) ، رقم (٤٠٣) ، (٦٥٥/١) . ومسلم : كتاب المساجد ، باب (٢) ، رقم (٥٢٦) (١٣/٣) .
(٢) سورة الجاثية آية : ٢٣ .
(٣) أحمد (٣٨٧/٣) ، الدارمي المقدمة (٤٣٥) .
(٤) أخرجه أحمد من حديث جابر بن عبد الله : برقم (١٥٢٢٣) ، (٢٤٣/٥) .

أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [(١)] ولذلك إذا نزل المسيح - عليه الصلاة والسلام - قبل قيام الساعة يكون تابعا لمحمد ﷺ بحكم بشريعة الإسلام .

وبعد بعثة رسول الله ﷺ يجب على جميع الثقلين الإنس والجن اتباعه إلى أن تقوم الساعة ، فمن بقي على دين غير دين محمد ﷺ فإنه يكون كافرا ، وإن كان الدين الذي عليه مشروعا في الأصل ؛ لأنه قد نسخ وأمر الناس باتباع هذا الرسول ﷺ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [(٢)] ، ولهذا كاتب النبي ﷺ ملوك الدنيا يدعوهم إلى الإسلام ، فكتب إلى كسرى ، وكتب إلى قيصر ، وغيرهم [(٣)] وكان يقول لأحدهم : ﴿ أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴾ [(٤)] [(٥)] يعني : تتحملون آثام من تبعكم من الفلاحين ، ومن العامة .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : ﴿ والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بي إلا دخل النار ﴾ [(٦)] [(٧)] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات : ٨١ - ٨٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٨ .
(٣) كما في حديث أنس عند مسلم : كتاب الجهاد ، باب (٢٧) ، رقم (١٧٧٤) ، (٣٢٩/٦) .
(٤) البخاري بدء الوحي (٧) ، مسلم الجهاد والسير (١٧٧٣) ، أحمد (٢٦٣/١) .
(٥) كما في حديث أبي سفيان المتفق عليه في قصة هرقل . البخاري : كتاب بدء الوحي ، باب (٦) ، رقم (٧) ، (٤٣/١) . ومسلم : كتاب الجهاد ، باب (٢٦) ، رقم (١٧٧٣) ، (٣٢٢/٦) .
(٦) مسلم الإيمان (١٥٣) ، أحمد (٣٥٠/٢) .
(٧) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب الإيمان ، باب (٧٠) ، رقم (١٥٣) ، (٣٦٤/١) .

وبذا يبطل هذا الهراء الذي يطنطنون به الآن من القول بحرية الاعتقاد ، أو حرية الأديان ، فهذا القول كفر والعياذ بالله . فليس هناك إلا اتباع هذا الرسول ﷺ لا نجاة إلا باتباعه .

وكذلك ما يلفقونه من الحوار والتقارب بين الأديان ! وهذا كلام باطل ، والعياذ بالله ، وكيف يحاور بين دين باطل منسوخ ودين حق ، وهو دين الإسلام ؟ ! يحاور بين الكفر والإسلام ، أو يسوى بين الكفر والإسلام ! ! ويقال : هذه أديان سماوية ! نعم ، كانت في الأصل سماوية ، لكن بعد بعثة الرسول ﷺ تحول الأمر إلى ما جاء به الرسول ﷺ فمن بقي على دين غير الدين الذي جاء به الرسول ﷺ فإنه كافر مباح الدم والمال ، يجب قتاله حتى يدخل في الإسلام ، أو يدفع الجزية إن كان من أهل الكتاب أو المجوس صاغرا منقادا للإسلام .

هذا هو الإسلام بمعناه العام ، وبمعناه الخاص الذي بعث الله به محمدا ﷺ .

٢- أركان الإسلام

الركن الأول الشهادتان

هذا الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ ينبني على أركان هي دعائمه ، وكذلك ينبني على قربات وطاعات مكملة لهذه الأركان ، فكل ما جاء به الرسول ﷺ من الأمر والنهي فإنه هو الإسلام . لكن هناك أشياء هي دعائم للإسلام وأركان له ، بينها حديث جبريل - عليه السلام - لما جاء إلى النبي ﷺ وقال : ﴿ أخبرني عن الإسلام ، قال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ﴾ [(١)] [(٢)] ففسر الإسلام بهذه الأركان ؛ لأن الإسلام يقوم عليها كما يقوم البناء على أركانه وعلى دعائمه ، وليست هي الإسلام كله ، إنما هي دعائمه ، والإسلام : كل ما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي .

والدليل على ذلك : حديث ابن عمر رضي الله عنه وفيه يقول ﷺ : ﴿ بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ﴾ [(٣)] [(٤)] .

فقوله : " بني " يدل على أن هذه الخمس هي الدعائم التي بني عليها وقام عليها .

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عمر : كتاب الإيمان ، باب (١) ، رقم (٨) ، (١٠١/١) . وهو متفق عليه أيضا من حديث أبي هريرة : البخاري : كتاب الإيمان ، باب (٣٧) ، رقم (٥٠) ، (١٥٢/١) . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (١) ، رقم (٩ ، ١٠) ، (١١٥/١) .

(٣) البخاري الإيمان (٨) ، مسلم الإيمان (١٦) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٩) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠١) ، أحمد (٩٣/٢) .

(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر : البخاري : كتاب الإيمان ، باب (٢) ، رقم (٨) ، (٦٩/١) . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (٥) ، رقم (١٦) ، (١٣٠/١) .

وحديث ابن عمر هذا مفسر لحديث عمر في قصة جبريل عليه السلام ، ومبين أن هذه الأمور التي ذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل ، إنما هي أركان الإسلام ومبانيه ، وهناك شرائع مكملة لهذه المباني ، ولهذا يقول ﷺ : ﴿ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ﴾ (١) (٢) فكل الطاعات سواء كانت واجبة أم مستحبة كلها من الإسلام ، وتجنب كل المحرمات التي نهى الله عنها هو من الإسلام ، فترك الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وأكل الربا ، والغيبة والنميمة ، وكل ما نهى الله عنه ، تركه هو الإسلام ، لكن هذه الخمس هي دعائمه ، وما زاد عنها فإنه يكون متمما ومكملا لها .

وهذه الأركان الخمسة ذكرها الله في القرآن في آيات كثيرة .

أ - أما الركن الأول : وهو الشهادتان :

فهذا كثير في القرآن ، كل الآيات التي تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك ، فإنا في تحقيق الركن الأول ، وكل الآيات التي توجب طاعة الرسول ﷺ واتباعه ، وتثبت رسالته فإنا تدخل أيضا في تحقيق الركن الأول .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٥) إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر بعبادة الله وتنهى عن الإشراك به .

---

(١) البخاري الإيمان (١٠) ، مسلم الإيمان (٤٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٤٨١) ، أحمد (١٩٢/٢) ، الدارمي الرقاق (٢٧١٦) .

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو : كتاب الرقاق ، باب (٢٦) ، رقم (٦٤٨٤) ، (١١/ ٣٨٣) وأخرجه مسلم من حديث جابر : كتاب الإيمان ، باب (١٤) ، رقم (٤٠) ، (٢٠٢/١) وهو متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى الأشعري : البخاري (١١) ، ومسلم (٤٢) .

(٣) سورة البقرة آية : ٢١ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٦٣ .

(٥) سورة غافر آية : ١٤ .

ومن الآيات التي تدل على شهادة أن محمدا رسول الله : قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ (١) فهي تثبت بالمعجزة رسالة النبي ﷺ وقوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ (٤) و﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ (٥) وقوله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾ (٦) ، وقوله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢ ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ (٩) وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ (١٠) كلها خطابات للرسول ﷺ وفيها إثبات رسالته ﷺ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝١١٩ ﴾ (١١) ، وقوله : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ (١٢) ، يعنى محمدا ﷺ .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٣ .
(٢) سورة الفرقان آية : ١ .
(٣) سورة الكهف آية : ١ .
(٤) سورة الأنفال آية : ٦٤ .
(٥) سورة المائدة آية : ٤١ .
(٦) سورة الأحزاب آية : ٤٠ .
(٧) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٨) سورة البقرة آية : ٢٥٢ .
(٩) سورة المزمل آية : ١ .
(١٠) سورة المدثر آية : ١ .
(١١) سورة البقرة آية : ١١٩ .
(١٢) سورة المزمل آية : ١٥ .

وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (1) ، وقوله : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾ (2) كل هذه الآيات فيها إثبات الرسالة للنبي ﷺ .

كذلك الأمر بطاعته : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ ﴾ (3) ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦ ﴾ (4) ، ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤ ﴾ (5) فهذه الآيات وغيرها في الركن الأول بجزأيه : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

فالآيات التي تأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، معناها : شهادة أن لا إله إلا الله . والآيات التي تثبت رسالة محمد ﷺ وتأمر باتباعه والاقتداء به ، هي في شهادة أن محمدا رسول الله .

هذا هو الركن الأول ، وهو أصل الدين وأساسه ، يقوم عليه الدين كله ، لا يقوم الإسلام ولا الإيمان إلا إذا تحقق الركن الأول (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله) .

وهذا الركن مكث النبي ﷺ يدعو إليه في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة .

---

(1) سورة البقرة آية : ١٤٣ .
(2) سورة الأحزاب الآيتان : ٤٥، ٤٦ .
(3) سورة النساء آية : ٨٠ .
(4) سورة النور آية : ٥٦ .
(5) سورة النور آية : ٥٤ .

الركن الثاني الصلاة

وقد فرضت على رسول الله ﷺ ليلة المعراج قبيل الهجرة من مكة إلى المدينة ، لما أسري به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء ، أي صعد بالنبي ﷺ بروحه وجسده ، يقظة لا مناما ، إلى السماء إلى ربه ﷻ ففرض الله عليه الصلوات الخمس فوق سبع سماوات [1] .

وقد ذكر الله الصلاة في القرآن في آيات كثيرة ، فتارة يأمر بإقامتها : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [2] وتارة يأمر بالمحافظة عليها : ﴿ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [3] ، وتارة يتوعد المضيعين لها : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ﴾ [4] ، ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ ﴾ [5] ، وتارة يخبر عن مصير المضيعين للصلاة : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ ﴾ [6] أي : النار ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧ ﴾ [7] ، فذكر أول ما أجابوا : أنهم لا يصلون : ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ ﴾ [8] .

---

(١) متفق عليه من حديث أنس ، وقد تقدم تخريجه .
(٢) سورة البقرة آية : ٤٣ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٣٨ .
(٤) سورة الماعون الآيتان : ٤، ٥ .
(٥) سورة مريم آية : ٥٩ .
(٦) سورة المدثر آية : ٤٢ .
(٧) سورة المدثر آية : ٤٧ .
(٨) سورة المدثر آية : ٤٣ .

وبين النبي ﷺ أن الصلاة هي عمود الدين [1] من حفظها فقد حفظ دينه ، ومن ضيعها فقد ضيع دينه . وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أمور دينه الصلاة [2] فإن قبلت قبل سائر عمله ، وإن ردت رد سائر عمله [3] .

وقد تردد ذكر الصلاة في القرآن وتنوع في آيات كثيرة لأنا عمود الإسلام وهي الفارقة بين المسلم والكافر ؛ قال ﷺ : ﴿ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ﴾ [4] [5] وقال ﷺ : ﴿ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر ﴾ [6] [7] فلا دين لمن لا صلاة له .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [8] فذكر في الصلاة فائدتين عظيمتين :

---

(١) كما في حديث معاذ : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة) ، أخرجه : الترمذي : كتاب الإيمان ، باب (٨) ، رقم (٢٦٢١) ، (١٢/٥) . ونحوه عند أحمد : برقم (٢٢٣٦٦) (٣٥٠/٧) . وأخرجه بلفظ : (الصلاة عمود الدين) عن ابن عمر : البيهقي في شعب الإيمان .

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة : أبو داود : كتاب الصلاة ، باب (١٤٩) ، رقم (٨٦٤) ، (٣٧٨/١) والترمذي : كتاب الصلاة ، باب (١٨٨) ، رقم (٤١٣) ، (٢٦٩/٢) والنسائي : كتاب الصلاة ، باب (٩) ، رقم (٤٦٤) ، (٢٥١/١) وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة ، باب (٢٠٢) ، رقم (١٤٢٥) ، (١٨٢/٢) .

(٣) أخرج هذه الزيادة الطبراني في الأوسط من حديث أنس .

(٤) مسلم الإيمان (٨٢) ، الترمذي الإيمان (٢٦٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٧٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٨) ، أحمد (٣٨٩/٣) ، الدارمي الصلاة (١٢٣٣) .

(٥) أخرجه مسلم من حديث جابر : كتاب الإيمان باب (٣٥) ، رقم (٨٢) ، (٢٥٩/١) .

(٦) الترمذي الإيمان (٢٦٢١) ، النسائي الصلاة (٤٦٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٩) ، أحمد (٣٤٦/٥) .

(٧) أخرجه من حديث بريدة : أحمد : برقم (٢٣٣٢٥) ، (٦١٤/٧) والترمذي : كتاب الإيمان باب (٩) ، رقم (٢٦٢٦) ، (١٣/٥) . والنسائي : كتاب الصلاة باب (٨) ، رقم (٤٦٢) ، (٢٥٠/١) . وابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة باب (٧٧) ، رقم (١٠٧٩) ، (٥٦٤/١) . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب . وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤١٤٣) .

(٨) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .

الأولى : أنا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، فالذي يحافظ على الصلاة يتجنب الفحشاء والمنكر .

الثانية : أن فيها ذكر الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (١) فالصلاة ذكر الله عز وجل .

والصلاة أيضا يستعان با على الشدائد ؛ قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣) ، وقال - تعالى - في شأنا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (٤) ، ثم ختم الآيات بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٥) .

هذه هي الصلاة (الركن الثاني من أركان الإسلام) ، وذكرها في القرآن كثير ، حتى إن الله تعالى علق عصمة الدم والمال بإقامة الصلاة ؛ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾ (٦) ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ ﴾ (٧) ، فلو تابوا وشهدوا

---

(١) سورة العنكبوت آية : ٤٥ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٥٣ .
(٣) سورة البقرة الآيتان : ٤٥، ٤٦ .
(٤) سورة المؤمنون الآيتان : ١، ٢ .
(٥) سورة المؤمنون الآيات : ٩-١١ .
(٦) سورة التوبة آية : ٥ .
(٧) سورة التوبة آية : ١١ .

أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ولم يقيموا الصلاة فإنم لا يخلى سبيلهم ؛ بل يقاتلون ليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؛ لأن الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله عز وجل .

الركن الثالث الزكاة

وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة ، وبعث النبي ﷺ السعاة لجباية الزكاة . وقد تكرر ذكرها في القرآن ، وكلما ذكرت الصلاة - في الغالب - ذكرت في جانبها الزكاة ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [(١)] ، ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٢)] ، والحق المعلوم هو الزكاة .

وقال تعالى عنها : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ ﴾ [(٣)] أي الزكاة ﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ ﴾ [(٤)] لما أوجبها على عباده بين مصارفها تأكيدا لشأنها .

وقال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ ﴾ [(٥)] ، قال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [(٦)] ، ولم يقل خذ أموالهم ؛ لأن الزكاة حد محدود من المال ، لا يضر بأصحاب الأموال ، وإنما يعود عليهم بالنفع والبركة ، ولذلك قال : ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [(٧)] ، فهي تعود عليهم بالطهارة والنماء في أموالهم ، وفي أعمالهم وحسناتهم .

ويتكرر ذكر الزكاة في القرآن : تارة مقرونة مع الصلاة ، وهو الغالب ، وتارة تأتي وحدها مما يدل على أهميتها .

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٣ .
(٢) سورة المعارج الآيات : ٢٢-٢٥ .
(٣) سورة التوبة آية : ٦٠ .
(٤) سورة التوبة آية : ٦٠ .
(٥) سورة التوبة آية : ١٠٣ .
(٦) سورة التوبة آية : ١٠٣ .
(٧) سورة التوبة آية : ١٠٣ .

ولما منع قوم دفع الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ قاتلهم أبو بكر الصديق ومعه صحابة رسول الله ﷺ وقال : ﴿ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه ﴾ [1] [2] .

الركن الرابع الصيام

وكان فرضه في السنة الثانية للهجرة ، وهو مذكور في آيات كثيرة : قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [3] إلى قوله تعالى : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ ﴾ [4] ، فأوجب الله صيام رمضان إما : أداء في حق المقيم الصحيح ، وإما قضاء في حق المسافر أو المريض ، فلا بد من صيام رمضان على المسلم البالغ العاقل ؛ لأنه ركن من أركان الإسلام .

وأثنى الله على الصائمين في آيات ، مثل قوله - تعالى - في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ﴾ [5] إلى قوله ﴿ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَٰتِ ﴾ [6] فجعل من جملة صفات المؤمنين الصيام .

---

(١) البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة (٦٨٥٥) ، مسلم الإيمان (٢٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٧) ، النسائي الجهاد (٣٠٩١) ، أبو داود الزكاة (١٥٥٦) ، أحمد (٣٦/١) .

(٢) متفق عليه من قول أبي بكر كما في حديث أبي هريرة : البخاري : كتاب الزكاة ، باب (١) ، رقم (١٣٩٩) ، (٣٣١/٣) . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (٨) ، رقم (٢٠) ، (١) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٨٣ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٥ .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

(٦) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .

الركن الخامس الحج

وتأخر فرضه إلى السنة التاسعة من الهجرة ، ولم يحج النبي ﷺ في السنة التاسعة ؛ لوجود المشركين الذين يطوفون بالبيت عراة ، وأرسل أبا بكر الصديق رضي الله عنه يحج بالناس ، وأرسل بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينادي في الناس بصدر سورة براءة ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان [1] فلما تطهر البيت من المشركين والعراة حج النبي ﷺ في السنة العاشرة حجة الوداع التي لم يمكث بعدها في الدنيا إلا أقل من ثلاثة أشهر حتى لحق بالرفيق الأعلى ﷺ وجزاه عن أمته أفضل ما جزى نبيا عن أمته .

وقد أنزل الله - تعالى - في شأن الحج قوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ ﴾ [2] وهذا يقتضي الوجوب ، وأن الحج حق لله - سبحانه وتعالى - على المستطيع من الناس .

وقوله : ﴿ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ ﴾ [3] ، أي : الزاد والمركوب الذي يوصله ويبلغه إلى مكة . أما الذي لا يستطيع لكونه فقيرا ليس عنده زاد ، أو عنده زاد لكن ليس عنده ما يركبه من وسائل النقل ويبلغه ، فهذا معذور في المبادرة لأداء الحج ، ويبقى في ذمته إلى أن يستطيع . كذلك المريض إذا لم يستطع بدنيا ويرجى شفاؤه فإنه أيضا ينتظر . أما إذا كان مرضه مزمنا ولا يستطيع ، أو كان كبيرا هرما لا يستطيع السفر للحج ، فهذا يوكل من يحج عنه ؛ لأن الحج تدخله النيابة عن العاجز الذي لا يستطيع لمرض مزمن أو لكبر . أما الذي لا يستطيع لعدم وجود المال فهذا لا يجب عليه الحج . أما الذي يستطيع ماديا ولا يستطيع بدنيا فهذا : إذا كان يرجى زوال المانع فإنه ينتظر ، وإن كان لا يرجى زوال المانع فإنه يوكل ، ولهذا لما ﴿ جاءت امرأة على النبي ﷺ فقالت : إن أبي أدركته فريضة

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة : البخاري : كتاب الصلاة ، باب (١٠) ، برقم (٣٦٩) ، (٦١٩/١) ومسلم : كتاب الحج ، باب (٧٨) ، رقم (١٣٤٧) ، (١١٩/٥) مختصرا .

(٢) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٩٧ .

الله على عباده في الحج وهو هرم لا يستطيع الثبات على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال رسول الله ﷺ فحجي عنه ﴾ [1] [2] .

ولما كان الحج يؤتى إليه من بعيد في الأغلب ، وفيه مشقة وأخطار ، جعله الله في العمر مرة واحدة ؛ تيسيرا على الناس ، وما زاد فهو تطوع . أما الصلاة فإنا تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات ، وهذا يدل على عظمتها وقدرها عند الله - سبحانه وتعالى - . والزكاة تجب مرة عند تمام السنة (تمام الحول) ، وكذلك الصيام الواجب فيه صيام شهر من اثني عشر شهرا من السنة . وهذا من تيسير الله - سبحانه وتعالى - .

ثم إن هذه الأركان : منها ما هو بدني لا تدخله النيابة ، كالصلاة والصيام ، ومنها ما هو مالي كالزكاة ، ومنها ما هو مركب من الأمرين : بدني ومالي ، وهو الحج ؛ لأن الحج يتكون من الاستطاعة المالية والاستطاعة البدنية .

فهذه أركان الإسلام كما جاءت في القرآن الكريم .

تبيين السنة ما أجمله القرآن الكريم من هذه الأركان

وقد بينت السنة ما أجمله القرآن الكريم من هذه الأركان :

فالقرآن ذكر الصلاة وبين أوقاتا من غير تفصيل ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [3] ، وقال - تعالى - : ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ

---

(١) البخاري الحج (١٤٤٢) ، مسلم الحج (١٣٣٤) ، الترمذي الحج (٩٢٨) ، النسائي مناسك الحج (٢٦٤٢) ، أبو داود المناسك (١٨٠٩) ، ابن ماجه المناسك (٢٩٠٧) ، أحمد (٣٥٩/١) ، مالك الحج (٨٠٦) ، الدارمي المناسك (١٨٣٣) .

(٢) متفق عليه من حديث الفضل في قصة الخثعمية : البخاري : كتاب جزاء الصيد ، باب (٢٣) ، رقم (١٥١٣ ، ١٨٥٤) ، (٨٦/٤) . ومسلم : كتاب الحج ، باب (٧١) ، رقم (١٣٣٤ ، ١٣٣٥) ، (١٠٢/٥) ، واللفظ له) .

(٣) سورة النساء آية : ١٠٣ .

﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝ ﴾ (1)

فهذا بيان مجمل للأوقات .

ثم جاءت السنة فبينت أوقات الصلوات الخمس على التفصيل ، بينت أن صلاة الفجر يبدأ وقتها بطلوع الفجر الصادق ، وأن صلاة الظهر يبدأ وقتها بزوال الشمس عن وسط السماء ، وأن صلاة العصر إذا بلغ ظل الشيء مثله ، وأن صلاة المغرب يبدأ وقتها بغروب الشمس ، وأن صلاة العشاء يبدأ وقتها بمغيب الشفق الأحمر .

فجعل الله - سبحانه وتعالى - علامات المواقيت واضحة ، يعرفها كل أحد : المتعلم والعامي ، والحضري والبدوي .

كذلك الصيام جعل الله علامته واضحة ، وهو الهلال ؛ قال تعالى : ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴾ (2) وقال النبي ﷺ ﴿ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ﴾ (3) (4) .

هكذا دين الإسلام ، ولله الحمد ، دين اليسر والسماحة والسهولة ، ليس فيه آصار ولا أغلال ، وإنما هو دين ميسر ، وكذلك - كما ذكرنا - فالله - جل وعلا - لم يذكر عدد الركعات . وإنما أمر بإقامة الصلاة مطلقا ، ولم يبين أوقاتا ، ولم يبين أعداد الركعات . والنبي ﷺ بين بفعله أن صلاة الفجر ركعتان ، وأن صلاة الظهر أربع ركعات ، وأن صلاة العصر أربع ركعات ، وأن صلاة المغرب ثلاث ركعات ، وأن صلاة العشاء أربع ركعات . هذا للمقيم ، وأما المسافر فيقصر الرباعية إلى ركعتين . هكذا بينت السنة ما جاء في القرآن الكريم من أمر الصلاة .

---

(١) سورة الروم الآيتان : ١٧، ١٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٨٩ .

(٣) البخاري الصوم (١٨١٠) ، مسلم الصيام (١٠٨١) ، الترمذي الصوم (٦٨٤) ، النسائي الصيام (٢١١٧) ، ابن ماجه الصيام (١٦٥٥) ، أحمد (٤٩٧/٢) ، الدارمي الصوم (١٦٨٥) .

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة : البخاري : كتاب الصوم ، باب (١١) ، رقم (١٩٠٩) ، (١٥٤/٤) . ومسلم : كتاب الصيام ، باب (٢) ، رقم (١٠٨١) ، (١٩٣/٤) .

وكذلك في الزكاة : فالله - جل وعلا - أمر بإعطاء الزكاة إجمالا ، ولم يبين الأموال التي تجب فيها ، فبين رسول الله ﷺ أنا تجب في أربعة أنواع : بيمة الأنعام ، وعروض التجارة ، والحبوب والثمار ، والنقدان (الذهب والفضة) ، هذه هي الأموال التي تجب فيها الزكاة .

ثم بين ﷺ المقدار الواجب ، وأنه ربع العشر من الذهب والفضة ، وبين النصاب ، وأنه من الذهب عشرون مثقالا ، ومن الفضة مئة وأربعون مثقالا [1] وبين النصاب من الغنم ، ومن البقر ، ومن الإبل [2] .

أما أهل الزكاة فإن الله - جل وعلا - لم يكل بيانم إلى الرسول ﷺ وإنما تولاه بنفسه ؛ قال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠ ﴾ [3] .

كذلك الصيام ، يقول الله - جل وعلا - : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [4] ، هذا فيه إجمال .

والرسول ﷺ بين المراد من الخيط الأبيض ومن الخيط الأسود أنه : ﴿ سواد الليل وبياض النهار ﴾ [5] ، فإذا خرج النهار - وهو البياض المعترض في الأفق - فإنه يمسك الصائم .

---

(١) كما في حديث أبي سعيد : (ليس فيما دون خمسة أواق صدقة) ، أخرجه البخاري كتاب الزكاة ، باب (٣٢) ، رقم (١٤٤٧) ، (٣٩١/٣) ، ومسلم (رقم ٩٧٩) . وحديث أبي بكر في الصدقات (وفي الرقة ربع العشر) ، رقم (١٤٥٤) .

(٢) كما في حديث أبي بكر في الصدقات ، أخرجه البخاري : كتاب الزكاة باب (٣٨) ، رقم (١٤٥٤) (٣/ ٣٩٩) . في زكاة الإبل والغنم والفضة .

(٣) سورة التوبة آية : ٦٠ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٨٧ .

(٥) البخاري الصوم (١٨١٧) ، مسلم الصيام (١٠٩٠) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٩٧١) ، النسائي الصيام (٢١٦٩) ، أبو داود الصوم (٢٣٤٩) ، أحمد (٣٧٧/٤) ، الدارمي الصوم (١٦٩٤) .

ولما سمع بعض الصحابة قوله - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ (١) ، أخذ خيطين أحدهما أسود والآخر أبيض ، ووضعهما عند رأسه ، وصار ينظر فيهما ، فلم يتبين له إلا بعدما اتضح النهار فجاء إلى النبي ﷺ وأخبره ، فبين له النبي ﷺ أنه ليس هذا هو المقصود ، وإنما المقصود بياض النهار وسواد الليل (٢) وليس المراد الخيوط المعهودة المعروفة . هذا بيان رسول الله ﷺ . وقال : ﴿ إذا أقبل الليل من ها هنا ﴾ (٣) يعنى : من المشرق : ﴿ وأدبر النهار من هاهنا ﴾ (٤) يعني من المغرب ﴿ وغربت الشمس ؛ فقد أفطر الصائم ﴾ (٥) (٦) أي : انتهى صيامه ، فإذا بقي بعد غروب الشمس لا يأكل ولا يشرب فهذا ليس بصيام ، ولا يثاب عليه ؛ لأنه انتهى وقت العبادة وانتهى وقت الصيام ، ولا يزاد على ما شرعه الله ، إلا ما جاء في حق الوصال إلى السحر (٧) فهذا شيء آخر .

وكذلك القول في الحج جاء الأمر به في القرآن مجملا من وجوه عديدة :

كم مرة يجب في العمر ؟ بين النبي ﷺ أنه يجب مرة واحدة .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٨٧ .

(٢) والحديث متفق عليه عن عدي بن حاتم : البخاري : كتاب الصوم ، باب (١٦) ، رقم (١٩١٦) (١٦٩/٤) مسلم : كتاب الصيام ، باب (٨) ، رقم (١٠٩٠) ، (٢٠٠/٤) .

(٣) البخاري الصوم (١٨٥٣) ، مسلم الصيام (١١٠٠) ، الترمذي الصوم (٦٩٨) ، أبو داود الصوم (٢٣٥١) ، أحمد (٢٨/١) ، الدارمي الصوم (١٧٠٠) .

(٤) البخاري الصوم (١٨٥٣) ، مسلم الصيام (١١٠٠) ، الترمذي الصوم (٦٩٨) ، أبو داود الصوم (٢٣٥١) ، أحمد (٤٨/١) ، الدارمي الصوم (١٧٠٠) .

(٥) البخاري الصوم (١٨٥٣) ، مسلم الصيام (١١٠٠) ، الترمذي الصوم (٦٩٨) ، أبو داود الصوم (٢٣٥١) ، أحمد (٤٨/١) ، الدارمي الصوم (١٧٠٠) .

(٦) متفق عليه من حديث عمر (وابن عمر) : البخاري : كتاب الصوم ، باب (٤٣) ، رقم (١٩٥٤) ، (٢٤٩/٤) ومسلم : كتاب الصيام ، باب (١٠) ، رقم (١١٠٠) ، (٢٠٩/٤) .

(٧) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد : كتاب الصوم ، باب (٤٨) ، رقم (١٩٦٣) ، (٢٥٧/٤) .

كيف يؤدى الحج ؟ بين النبي ﷺ ذلك بفعله ، فقد حج النبي ﷺ بأصحابه وقال لهم : ﴿ خذوا عني مناسككم ﴾ [1] [2] فبين ﷺ مناسك الحج : من طواف وسعي ووقوف بعرفة .

وبين متى يبدأ الوقوف ؛ ومتى ينتهي والله - جل وعلا - يقول : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [3] ، لكن لم يبين وقته ، والرسول ﷺ بينه .

وكذلك المبيت بمزدلفة قال الله - تعالى - : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [4] ، ولم يبين تفاصيل ذلك ، والنبي ﷺ بين ذلك بأن نزل بمزدلفة ، وصلى بها المغرب والعشاء جمعا وقصرا ، ثم بات - عليه الصلاة والسلام - ، ثم صلى الفجر بغلس مبكرا ، ثم وقف يدعو حتى أسفر جدا ، ثم دفع إلى منى فبين كيف نذكر الله عند المشعر الحرام .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [5] يعني : أيام التشريق والنبي ﷺ بين ماذا يفعل في أيام التشريق : الـ ول بمنى ، والمبيت بها ، ورمي الجمار ، وبين ﷺ كيف يبدأ وكيف ينتهي ، وبكم ترمى الجمرات ، وأن ذلك بسبع حصيات ، فبين ﷺ البيان الشافي [6] .

---

(١) مسلم الحج (١٢٩٧) ، أبو داود المناسك (١٩٧٠) ، أحمد (٣١٨/٣) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر بلفظ : (لتأخذوا مناسككم) كتاب الحج ، باب (٥١) ، رقم (١٢٩٧) (١٤٩/٥) وأخرجه بلفظ : (لتأخذوا مناسككم) أحمد : برقم (١٤٤٧٢) (٧٥/٥) والنسائي : كتاب المناسك ، باب (٢٢٠) ، رقم (٣٠٦٢ ، (٢٩٨/٣) .

(٣) سورة البقرة آية : ١٩٩ .

(٤) سورة البقرة آية : ١٩٨ .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .

(٦) كما في الأحاديث الكثيرة الواردة في صفة حجة الوداع ، وأوفاها حديث جابر عند مسلم : كتاب الحج ، باب (١٩) رقم (١٢١٨) (٤٠٢/٤) .

ولهذا يقول العلماء : إن السنة المطهرة مفسرة للقرآن ومبينة له ، وهي وحي من الله جل وعلا ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [2] . وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [3] . والكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة المطهرة .

هذه هي أركان الإسلام الخمسة كما جاءت في القرآن الكريم ، وكما بينتها سنة رسول الله ﷺ وليس الإسلام مقصورا عليها ، بل هي أركانه ودعائمه ومبانيه ، ولكن كل ما أمر الله سبحانه وتعالى بفعله ؛ ففعله هو الإسلام ، وكل ما أمر الله -سبحانه وتعالى- بتركه فاجتنابه وتركه هو الإسلام .

ويقول جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [4] : السلم هو الإسلام ، أي : اعملوا بكل شرائعه ، ولا يقتصر على بعض شرائع الإسلام ويترك البعض ، وقد هم قوم أن يأخذوا ببعض شرائع الإسلام ، ويتركوا البعض الآخر ، فأنزل الله فيهم هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [5] لكن هذا حسب المقدرة والاستطاعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ [6] .

وهناك أمور لا بد منها وهي الأركان ، وهناك أمور مكملة لها تكميلا واجبا أو تكميلا مستحبا ، والتكميل الواجب من تركه يأثم ، والتكميل المستحب من تركه لا

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .
(٢) سورة النحل آية : ٤٤ .
(٣) سورة النساء آية : ١١٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٠٨ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٠٨ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

يأثم ، ولكن في ترك التكميل الواجب والمستحب نقص في الإسلام ، بحسب ما ترك من الطاعات وما يرتكب من المحرمات والمكروهات ، فينقص من إسلامه بذلك ، وكلما أكثر من الطاعات وتجنب المحرمات كمل إسلامه .

الدرس الخامس
الإيمان في القرآن الكريم

١- تمهيد في بيان مراتب الدين

الإسلام والإيمان والإحسان : مراتب للدين ، كما بينها النبي ﷺ .

المرتبة الأولى : الإسلام ، وله خمسة أركان ، وقد تقدم بيانا بالتفصيل .

المرتبة الثانية : الإيمان ، وله ستة أركان ، وهي مذكورة في القرآن الكريم في آيات كثيرة .

المرتبة الثالثة - وهي أعلاها - : الإحسان .

كما بينها رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام لما سأله عن هذه المراتب الثلاث ، بينها واحدة واحدة [(١)] .

٢- تعريف الإيمان

الإيمان في اللغة العربية معناه : التصديق ، أي : التصديق بالإخبار عن شيء غائب ، ويكون معه ائتمان للمخبر ، أي يكون المصدق قد أمن المصدق فيما أخبر به .

أما الإيمان في الشرع فهو : " القول باللسان ، والتصديق بالقلب ، والعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية " ، فليس هو مجرد التصديق كما هو في اللغة .

والذين يقولون : الإيمان هو التصديق فقط ، هم المرجئة ، وهؤلاء غالطون ، فالإيمان في الشرع يتكون من هذه الأمور المأخوذة من الأدلة ، وليس هو تعريفا اصطلاحيا أو فكريا ، وإنما هو مأخوذ من الأدلة ، مستقرأ منها .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وقد تقدم تخريجه ص (١٠١) .

ومعنى القول باللسان : أن ينطق بلسانه بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ينطق بذلك ويعلن به ، ويدخل فيه أيضا كل ما ينطق به اللسان من العبادات القولية ، كالتسبيح والتهليل ، وتلاوة القرآن وذكر الله ﷻ هذا كله قول باللسان ، وهو إيمان .

وهو كذلك اعتقاد بالقلب ، فلا يكفي النطق باللسان ، فإن كان ينطق بلسانه ولا يعتقد بقلبه فهذا إيمان المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وكذلك من صدق بقلبه ولم ينطق بلسانه فهذا ليس بمؤمن ؛ لأن المشركين والكفار يعتقدون بقلوبهم صدق الرسول -عليه الصلاة والسلام- ، لكن أبوا أن ينطقوا بألسنتهم لغرض من الأغراض ، إما لحمية على دينهم ، كما أمر الرسول ﷺ كفار قريش أن يقولوا لا إله إلا الله فقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَـٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾ [1] فهم أبوا أن يقولوا لا إله إلا الله ويشهدوا بها حمية لدينهم وعبادتهم للأوثان ! !

فالتصديق بالقلب بدون نطق اللسان لا يكفي ، وليس هو الإيمان ، إنما هذا عند المرجئة ، والمرجئة طائفة مخالفة لأهل السنة والجماعة ، لا عبرة بقولها .

وكذلك من نطق بلسانه ، وصدق بقلبه ، ولم يعمل بجوارحه ، فليس بمؤمن إلا عند المرجئة أيضا ؛ لأن بعض المرجئة -وهم مرجئة الفقهاء - يقولون : الإيمان هو : القول باللسان والتصديق بالقلب . ولا يدخلون أعمال الجوارح في الإيمان .

والمرجئة أربع فرق :

أ - فرقة يقولون : الإيمان هو ؛ القول باللسان فقط وهؤلاء هم الكرامية .

ب - وفرقة يقولون : الإيمان هو : التصديق بالقلب فقط ، ولو لم ينطق ، وهذا قول الأشاعرة .

---

(١) سورة ص آية : ٥ .

ج - وفرقة يقولون : الإيمان : مجرد المعرفة بالقلب ولو لم يصدق ، فإذا عرف بقلبه ولو لم يصدق ، فإنه مؤمن وهذا قول الجهمية ، وهم شر فرق المرجئة .

د - الفرقة الرابعة : الذين يقولون هو : القول باللسان ، والاعتقاد بالقلب ، وهؤلاء أخف فرق المرجئة ، ولذلك يسمون بمرجئة الفقهاء .

أما جمهور أهل السنة والجماعة فإنه لا بد من هذه الحقائق في الإيمان :

قول باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فكلما عمل المرء طاعة زاد إيمانه ، وكلما عمل معصية نقص إيمانه ، فإذا أردت أن يزيد إيمانك فعليك بالطاعات ، فذكر الله يزيد في الإيمان ، وسماع القرآن يزيد في الإيمان ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ (٣) فدل على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . كلما عصى الإنسان ربه نقص إيمانه ، حتى ربما أدى ذلك إلى أن يكون إيمانه ضعيفا جدا ، يكون إيمانه مثقال ذرة أو أقل ، فيضعف الإيمان حتى يكون قريبا من الكفر ؛ كما قال تعالى : ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (٤) .

فالمعاصي تنقص الإيمان ، فمن خاف على إيمانه من النقص تجنب المعاصي ، وإلا فليعلم أنا كلها على حساب الإيمان ، كلما عمل معصية فإنه ينقص إيمانه بذلك حتى ربما لا يبقى منه إلا القليل ، بل ربما يزول بالكلية ؛ لأن بعض المعاصي يزيل الإيمان بالكلية ، لا يبقى معه إيمان ، مثل الشرك بالله ﷻ والكفر به ، وترك الصلاة ، هذا يزيل الإيمان بالكلية .

فهذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة .

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢ .

(٢) سورة مريم آية : ٧٦ .

(٣) سورة المدثر آية : ٣١ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٧ .

٣- أركان الإيمان

الإيمان له أركان ، يعني : دعائم وأعمدة يقوم عليها ، لا يقوم بدونها ، فإذا وجدت هذه الأركان ، وهذه الدعائم قام الإيمان . وهذه الأركان بينها النبي ﷺ لما سأله جبريل قال : ﴿ أخبرني عن الإيمان ، فقال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ﴾ [(١)] [(٢)] .

هذه أركان الإيمان وهي ستة أركان :

الركن الأول : الإيمان بالله ، وهذا يشمل التوحيد بأنواعه الثلاثة ، فلا يصح الإيمان بالله إلا باعتقاد أنواع التوحيد الثلاثة .

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة ، فتؤمن بأن لله ملائكة خلقهم لعبادته ، وخلقهم لتنفيذ أوامره في مخلوقاته ، منهم الموكل بالوحي ، ومنهم الموكل بالقطر والنبات ، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور ، ومنهم الموكل بقبض الأرواح عند الممات ، ومنهم الموكل بالأجنة في البطون ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات ؛ بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ﴾ [(٣)] [(٤)] .

---

(١) مسلم الإيمان (٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٠) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) ، أبو داود السنة (٤٦٩٥) ، ابن ماجه المقدمة (٦٣) ، أحمد (٥٢/١) .

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠١ .

(٣) البخاري بدء الخلق (٣٠٣٦) ، مسلم القدر (٢٦٤٣) ، الترمذي القدر (٢١٣٧) ، أبو داود السنة (٤٧٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٧٦) ، أحمد (٤٣٠/١) .

(٤) متفق عليه من حديث ابن مسعود : البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب (٦) ، رقم (٣٢٠٨) ، (٣٦٥/٦) . ومسلم : كتاب القدر ، باب (١) ، رقم (٢٦٤٣) ، (٤٠٦/٨) .

ومن الملائكة نوع موكل بحفظ أعمال بني آدم ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [(١)] يحفظون علينا أعمالنا ، خيرها وشرها ، قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٢)] ، تابعون لابن آدم ، يكتبون ما يصدر منه من قول أو فعل ، أو قصد أو نية ، يتعاقبون في الليل والنهار : ملائكة يـ لون يلازمون ابن آدم في الليل من صلاة العصر إلى صلاة الفجر ، ويـ ل ملائكة آخرون من صلاة الفجر إلى صلاة العصر ، ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يحضرونا ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [(٣)] ويجتمعون في صلاة العصر ، ويشهدونا مع المسلمين [(٤)] ولذلك صار لهاتين الصلاتين العظيمتين مزية عظيمة على غيرهما من الصلوات .

ومنهم ملائكة موكلون بالجنة لتنفيذ ما يأمرهم الله فيها من غرس الأشجار ، وخدمة أهلها وغير ذلك .

وملائكة موكلون بالنار ، وهم خزنتها ، ومالك رئيسهم (رئيس الخزنة) .

ومنهم حملة العرش ؛ كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ [(٥)] ، والذين حول العرش هؤلاء من الملائكة أيضا ، فالملائكة أصناف .

والسماوات مملوءة بالملائكة ، ويـ لون بأمر الله سبحانه وتعالى إلى الأرض لتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى .

فيجب الإيمان بالملائكة ، ومن جحد الملائكة فإنه كافر ؛ لأنه جحد ركنا من أركان الإيمان وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة .

(١) سورة الانفطار الآيات : ١٠-١٢ .
(٢) سورة ق آية : ١٨ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٧٨ .
(٤) كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة : البخاري : كتاب مواقيت الصلاة ، باب (١٦) ، رقم (٥٥٥) ، (٤٥/٢) . ومسلم : كتاب المساجد ، باب (٣٧) ، رقم (٦٣٢) ، (١٤٣/٣) .
(٥) سورة غافر آية : ٧ .

وفي الإيمان بالملائكة فائدة للإنسان وهي : أنه يتحفظ منهم ، ويحسن القول والعمل ؛ لأنهم يسجلون عليه ويحفظون عليه ما يصدر عنه ، فعليه أن يستحيي منهم : فيتجنب المنكرات ، ويتجنب إدخال الكلب أو الصورة في بيته ؛ لأن الملائكة (أي : ملائكة الرحمة) لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة [1] ولا يجوز للمسلم أن يفعل كما يفعل الغربيون والمتشبهون بهم من اتخاذ الكلاب في البيوت ؛ لأن هذا يسبب ابتعاد الملائكة عن بيته .

الركن الثالث : الإيمان بكتب الله المنزلة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾ [2] ، أي : جميع الكتب ، ما سمى الله منها : كالتوراة والإنجيل والزبور ، وصحف إبراهيم وموسى ، والقرآن ، وهو أعظمها . وما لم يسم الله منها ، فنؤمن بجميع ما أنزل الله من الكتب ، ولا يتم إيمان العبد مع جحدها وإنكارها .

الركن الرابع : الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ، من أولهم إلى آخرهم ، من سمى الله في القرآن والسنة ، ومن لم يسم منهم ، ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [3] ، ومن جحد نبيا واحدا فإنه كافر بالجميع .

والرسل هم ؛ الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الشرائع والأوامر والنواهي ، والدعوة إلى الله عز وجل .

الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر ، يوم القيامة ، يوم البعث ، يوم يعيد الله الخلائق جميعا كما خلقهم أول مرة ويحشرهم جميعا في مكان واحد من أولهم إلى آخرهم ، ويحاسبهم على أعمالهم ، وتخرج لهم كتبهم التي كتبت عليهم في الدنيا ، فالمؤمن يعطى كتابه بيمينه ، والكافر يعطى كتابه بشماله وراء ظهره - والعياذ بالله - إهانة له .

---

(١) متفق عليه من حديث أبي طلحة : البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب (٧) ، رقم (٣٢٢٥) ، (٣٧٥/٦) . ومسلم : كتاب اللباس ، باب (٢٦) ، رقم (٢١٠٦) ، (٣١٠/٧) .

(٢) سورة الشورى آية : ١٥ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٦ .

وكل هذا وغيره مما يكون في اليوم الآخر : من وزن الأعمال ، ومن الحوض ، والصراط ، والجنة والنار ، وكل ما أخبر الله تعالى به أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون في اليوم الآخر ، فالإيمان به ركن ، لا يكون العبد مؤمنا مع التكذيب به .

ويدخل في ذلك -أيضا - ما يكون بعد الموت من عذاب القبر أو نعيمه ، وغير ذلك مما يكون بعد الموت ، إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

فمن جحد البعث كفر بالله عز وجل ؛ قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ ﴾ (١) وكذلك من أنكر ما ثبت بالضرورة من أمور الآخرة ، فإنه يكون كافرا ، فمن أنكر الجنة أو النار ، أو أنكر الحساب ، أو إعطاء الصحائف ، أو أنكر وزن الأعمال ؛ فهو كافر ، فلا بد من الإيمان باليوم الآخر ، وبكل ما يجري فيه مما صح الخبر به عن الله جل وعلا أو عن رسوله ﷺ .

الركن السادس : الإيمان بالقدر ، وهو : أن كل ما يجري في هذا الكون من خير أو شر ، أو كفر أو إيمان ، أو مرض أو صحة ، أو غنى أو فقر ، أو شدة أو يسر ، فإنه بتقدير الله وعلمه . فالله علم كل شيء ، وكتبه في اللوح المحفوظ ، وشاءه ، وخلقه وأوجده سبحانه وتعالى ، فلا بد أن تؤمن بهذه الدرجات الأربع :

أ - العلم السابق من الله -عز وجل وعلا - بكل ما كان وما يكون .

ب - كتابة ذلك كله في اللوح المحفوظ .

ج - مشيئة الله لكل ما يجري وما يقع ، وأنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله .

د - أن الله -جل وعلا- خلق كل شيء ؛ قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ (٢) ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة التغابن آية : ٧ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٢ .

(٣) سورة الصافات آية : ٩٦ .

فمن جحد القدر ، أو جحد شيئا من مراتب القدر ، فإنه لا يكون مؤمنا ؛ لأنه جحد ركنا من أركان الإيمان الستة .

وهناك شعب غير هذه الأركان تسمى شعب الإيمان ، قال ﷺ : ﴿ الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ [1] [2] .

وهذه الشعب تختلف من حيث أهميتها فمنها ما يزول الإيمان بزواله ومنها ما ينقص الإيمان بزواله ، ولذلك عد العلماء الأعمال من الإيمان فقالوا في تعريفه : . . . وعمل بالجوارح . . .

وهذه الأركان ذكرها جل وعلا في القرآن الكريم في آيات كثيرة : منها قوله تعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [3] ، ذكر في هذه الآية خمسة أركان ، وذكر القدر في آية أخرى فقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [4] .

وكذلك ذكر الله هذه الأركان في قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [5] فهذه أربعة أركان .

---

(١) البخاري الإيمان (٩) ، مسلم الإيمان (٣٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦١٤) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥) ، أبو داود السنة (٤٦٧٦) ، ابن ماجه المقدمة (٥٧) ، أحمد (٢/٤١٤) .

(٢) أخرجه البخاري مختصرا (رقم ٩) ومسلم (رقم ٣٥) ، واللفظ له .

(٣) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٤) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

واليوم الآخر تكرر ذكره في القرآن بكثرة ، بل إن الله جل وعلا يقرن الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان به سبحانه وتعالى كثيرا ، مثل قوله : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ (١)

وذكر الله -جل وعلا - الإيمان بالرسل وبالكتب في قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ (٢) ، فلا بد من الإيمان بهذا كله .

ولقد مدح الله -سبحانه وتعالى- المؤمنين الذين يؤمنون بهذه الحقائق ، وأثنى عليهم ، وذكر صفاتم ، وكثيرا ما يناديهم باسم الإيمان ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (٣) ، ثم يأمرهم أو ينهاهم ، كقوله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٣ ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧ ﴾ (٧) ، إلى غير ذلك .

وتارة يذكر صفات من صفات المؤمنين ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٩ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٣٦ .
(٣) سورة النساء آية : ١٣٥ .
(٤) سورة النساء آية : ١٣٥ .
(٥) سورة محمد آية : ٣٣ .
(٦) سورة الحشر آية : ١٨ .
(٧) سورة المائدة آية : ٨٧ .

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [(١)] ، وهذه من أعظم الصفات التي خص بها المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [(٢)] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [(٣)] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ ﴾ [(٤)] .

وقال تعالى واصفا لهم بولاية بعضهم بعضا : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [(٥)] .

قوله : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ ﴾ [(٦)] أي : ذكورا وإناثا ، ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [(٧)] : أي : كل واحد ولي للآخر بالمحبة والمناصرة والإعانة على الخير ، فهو

---

(١) سورة الأنفال الآيات : ٢-٤ .
(٢) سورة المؤمنون الآيات : ١-١١ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١٥ .
(٤) سورة النور آية : ٦٢ .
(٥) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٦) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٧) سورة التوبة آية : ٧١ .

يتولى أموره ، وينصره إذا أهين وأوذي ، ويعينه إذا احتاج ، ويذكره إذا نسي ، ويحب له ما يحب لنفسه ، فهو وليه ، أي : بينهم ولاية ، يعني : محبة ونصرة .

قوله : ﴿ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [1] أي : يأمر بعضهم بعضا بالمعروف وينهاه عن المنكر ، ويأمرون غيرهم أيضا من الكفار والمشركين والمنافقين ، يأمرونهم بالدخول في الإسلام ، ويدعونهم إلى توحيد الله ﷻ وينهون عن المنكر من الشرك والكفر والمعاصي والمخالفات .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم صفات المؤمنين ، ولذلك كان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليلا على ضعف الإيمان أو عدمه ، كما قال ﷺ : ﴿ من رأى منكم منكرا ؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [2] [3] وفي رواية : ﴿ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ﴾ [4] [5] .

قوله : ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [6] : أي يؤدونها في أوقاتها مع الجماعة ، ويقيمونها ظاهرا وباطنا ، وإقامتها ظاهرا تكون بأداء شروطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، ويقيمونها باطنا بالخشوع وحضور القلب ، وبهذه الإقامة مدحهم الله بقوله : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [7] ، إنما قال : ﴿ وَيُقِيمُونَ

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٣/٥٤) .

(٣) أخرجه مسلم (رقم ٤٩)

(٤) مسلم الإيمان (٥٠) .

(٥) أخرجه مسلم (رقم ٥٠) .

(٦) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٧) سورة المؤمنون الآيتان : ١، ٢ .

ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [1] ولم يقل : يصلون ؛ لأنه ليس المقصود بالصلاة الصورة فقط ؛ بل لا بد أن يقيموا الصلاة على حسب ما أمر الله سبحانه وتعالى ، لا على حسب شهوة الإنسان ورغبته ، فيصلي متى ما أراد ، ويصلي كيفما أراد ، بل لا بد أن يصلي كما أمر الله .

قوله : ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [2] أي : زكاة أموالهم ؛ لأنا قرينة الصلاة ، ولا يمنعهم من إخراجها البخل والشح ، وفي إعطائهم الزكاة مواساة للفقراء والمساكين .

قوله : ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [3] : هذا عام في جميع ما أمر الله به ، أو أمر به رسوله ﷺ . وفي هذا دليل على وجوب العمل بالسنة ؛ لأن من لم يعمل بالسنة فإنه ليس مطيعا لرسول الله ﷺ . فالذي يقول : إنني لا أعمل إلا بالقرآن فقط ! ! هذا ليس مؤمنا بالرسول ﷺ بل ولا مؤمنا بالقرآن أيضا لأن الله أمر في القرآن باتباع السنة وطاعة الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ [4] ، وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [5] .

قوله : ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [6] : يعمهم الله برحمته ، وإذا رحمهم سعدوا سعادة لا يشقون بعدها أبدا .

وهذه الصفات المذكورة للمؤمنين هي مضادة تماما لصفات المنافقين ؛ كما قال تعالى عنهم في الآيات التي قبل هذه : ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ

---

(١) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٢) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٣) سورة التوبة آية : ٧١ .
(٤) سورة الحشر آية : ٧ .
(٥) سورة النساء آية : ٨٠ .
(٦) سورة التوبة آية : ٧١ .

ﭐلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ ﴾ [1] .

والإيمان منة من الله - جل وعلا - ومنحة ؛ قال تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ ﴾ [2] فلذا لا يضعه إلا فيمن يستحقه ؛ لأنه سبحانه وتعالى حكيم ، يضع الأمور في مواضعها ، فلا يضع الإيمان إلا فيمن يصلح له ، فيمن به سبحانه على من يشاء ، لا سيما من بذل الأسباب ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [4] .

ومن ثمرات الإيمان ما ذكره الله سبحانه بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [5] ، وذلك أنه إذا دخل المؤمنون في الجنة وكان الآباء في م لة ، والأولاد في م لة أخرى ، فإن الله يجمع بينهم حتى تقر أعين بعضهم ببعض ، وهذا هو معنى قوله : ﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [6] ، فضلا منه سبحانه بسبب الإيمان ، وذلك من تمام النعيم .

---

(١) سورة التوبة الآيتان : ٦٧، ٦٨ .
(٢) سورة الحجرات آية : ١٧ .
(٣) سورة محمد آية : ١٧ .
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٩ .
(٥) سورة الطور آية : ٢١ .
(٦) سورة الطور آية : ٢١ .

٤ - مسائل في الإسلام والإيمان

المسألة الأولى الفرق بين الإسلام والإيمان

إذا ذكر الإسلام والإيمان في موضع واحد من النصوص الشرعية أو ذكر كل واحد منهما في موضع ، فقد ذكر العلماء لذلك قاعدة وهي : " أنما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا " ، أي : إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى ، فكان الإسلام معناه الأعمال الظاهرة ، والإيمان معناه الأعمال الباطنة ، أعمال القلوب ، كما ذكر في حديث جبريل ، حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة [(١)] .

وإذا ذكر الإسلام منفردا دخل فيه الإيمان ، وإذا ذكر الإيمان منفردا دخل فيه الإسلام ؛ لأنه لا يصلح الإسلام إلا بالإيمان ، ولا يصلح الإيمان إلا بالإسلام .

هذا هو الإيمان في الكتاب والسنة ، ومذهب أهل السنة والجماعة .

المسألة الثانية ما يزول به الإيمان بالكلية وما ينقص به الإيمان

وهذه مسألة مهمة جدا . والإيمان يزول بالكلية بأمور ، منها :

أ - الشرك بالله ﷻ والكفر به ، سواء كان الكفر بالجحود ، أو التكذيب ، أو بالشك ، أو بالاستهزاء بما أنزل الله ، أو بالرسول ﷺ أو بالقرآن أو بالسنة ، أو بشعائر الدين ، أو بفعل الكفر أو النطق به ، فهذه الأمور يزول بها الإيمان زوالا كليا ، ولهذا تسمى نواقض الإيمان ، وتسمى بخصال الردة .

والمراد بالشرك : الشرك الأكبر ، وكذا الكفر الأكبر ، ومثله النفاق الاعتقادي ، فيزول الإيمان بالأقوال والأفعال والاعتقادات الكفرية والشركية .

---

(١) تقدم في ص ٨٨ .

ب - ويزول أيضا بترك الصلاة ؛ كما قال ﷺ : ﴿ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ﴾ [1] [2] وقال : ﴿ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر ﴾ [3] [4] ومراده بالكفر هنا : الكفر الأكبر ؛ كما قال الله تعالى عن المجرمين : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [5] فالسبب الأول لدخولهم سقر هو تركهم الصلاة ، فمن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ، سواء كان جاحدا لوجوبا أم غير جاحد ، أما من تركها جاهلا ، أو تركها ناسيا ، أو تركها نائما أو تركها بزوال عقله ، فهؤلاء لا تشملهم نصوص الوعيد على تركها .

ج - كذلك يزول الإيمان بتعلم السحر وتعليمه .

د - ويزول الإيمان بادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

هـ - ويزول الإيمان بالحكم بغير ما أنزل الله ، إذا اعتقد أنه أحسن من الحكم بما أنزل الله ، أو مساو له ، أو أنه مخير أن يحكم بذا أو هذا ، فهذا يكفر الكفر الأكبر الذي يخرج من الملة . وللإيمان نواقض كثيرة ذكرها العلماء في كتب الاعتقاد وكتب الفقه ، وبعضهم أفردها بالتأليف .

أما المعاصي التي هي دون الشرك ودون الكفر ، فهذه ينقص الإيمان بها ولا يزول بالكلية ، وذلك كشرب الخمر والسرقة ، والزنا ، وأكل الربا من غير استحلال له ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، فهذه كبائر ينقص الإيمان بها لكن لا يزول ، ينقص حتى ربما وصل إلى مثقال ذرة أو أقل من ذلك كما سبق بيانه ، ولكنه لا يخرج الإنسان من

---

(١) مسلم الإيمان (٨٢) ، الترمذي الإيمان (٢٦٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٧٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٨) ، أحمد (٣٨٩/٣) ، الدارمي الصلاة (١٢٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٨٢)

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٢١) ، النسائي الصلاة (٤٦٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٩) ، أحمد (٣٤٦/٥) .

(٤) تقدم (ص ٩٤) .

(٥) سورة المدثر آية : ٤٣ .

الدين ؛ لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢) ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (٣) سماهم مؤمنين مع أنم يقتل بعضهم بعضا ، وقتل المؤمن بغير حق كبيرة من كبائر الذنوب ، ومع هذا لم يخرجهم من الإيمان ، فالكبائر التي دون الشرك تنقص الإيمان نقصا ظاهرا لكنها لا تخرج صاحبها من الدين ، هكذا يقول أهل السنة .

خلافا لما يقوله الخوارج والمعتزلة والمرجئة :

فالخوارج والمعتزلة ذهبوا إلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار ، وأنه خارج من الإيمان بمعصيته .

والمرجئة قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب ، ولا ينقص الإيمان بالمعاصي ، وكلا القولين باطل مخالف للحق ، وهما قولان على طرفي نقيض .

والحق هو الوسط ، وهو مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، وهو أن يقال : مرتكب الكبيرة إن لم يكن مستحلا لها فإنه ينقص إيمانه ، لكنه لا يخرج من الإيمان ، فهو مؤمن ناقص الإيمان ، أو يقال : هو مؤمن فاسق : مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، اجتمع فيه الإيمان والفسوق ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، ولذلك شرع الله إقامة الحدود على مرتكب بعض الجرائم الكبيرة ، فشرع حد الزنا والسرقة ونحو ذلك .

---

(١) سورة النساء آية : ٤٨ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٠ .

وشرع القصاص من القاتل ، وخير أولياء الدم بين أن يعفوا عن القصاص ، أو يقتصوا ، ولو كان مرتكب القتل كافرا بذلك لوجب قتله على كل حال ، ولا يفوض الأمر إلى أولياء الدم ؛ لأن المرتد يجب قتله ، ولو عفى عنه الخلق جميعا ، وإذا قتل القاتل فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ، ويدفن في مقابر المسلمين ؛ لأنه مسلم .

كذلك الزاني إذا كان الزاني ثيبا يرجم بالحجارة حتى يموت ، فإذا رجم ومات ، فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين .

كذلك إذا كان الزاني بكرا فإنه يجلد ويعامل معاملة المسلمين ، فلا ينفسخ نكاحه من زوجته ، ولا يؤخذ ماله ، لكنه مع إيمانه يكون فاسقا بزناه .

كذلك القاذف الذي يقذف الأبرياء بالزنا ، هذا يجلد ثمانين جلدة ، ويثبت عليه وصف الفسق ، كما نص القرآن على ذلك : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ ۝٤ ﴾ (1) لكن لا يعامل معاملة الكفار ، وهذا يدل على أنه مسلم .

كذلك شارب الخمر يجلد ، كما جلد النبي ﷺ في الخمر ، وأجمع الصحابة بعد رسول الله ﷺ على أنه يجلد ثمانين جلدة ، ويعامل معاملة المسلمين ، لو مات فإنه يصلى عليه ، وميراثه يكون لأقاربه . ولو مات مرتدا أو كافرا لصار ماله فيئا لبيت المال ، لا يرثه أقاربه .

وكل المعاصي تنقص الإيمان ، ولكن بعضها ليس عليه حد في الدنيا ، بل عليه وعيد من الله ﷻ كالكذب ، والغيبة والغش في البيع والشراء ، وأكل الربا إذا لم يستحله ، أما إن استحله فهو كافر حتى ولو لم يأكله ؛ لأن استحلال المحرم ردة وكفر ، لكن إذا أكله وهو يعتقد تحريمه ، مثل أن تغلبه محبة المال والطمع ، فهذا يكون فاسقا مرتكبا لكبيرة من كبائر الذنوب ، لكن ليس عليه حد ، وإنما عليه وعيد شديد حتى يتوب إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(1) سورة النور آية : ٤ .

فالمعاصي تنقص الإيمان إذا كانت دون الشرك ، سواء كانت كبائر أم صغائر ، والكبائر على قسمين : قسم رتب عليه الحدود ، وقسم رتب عليه الوعيد ، وليس فيه حد ، والمعاصي في نقصها للإيمان تتفاوت : بعضها ينقص الإيمان نقصا كثيرا ، وبعضها دون ذلك ، وإذا تاب إلى الله -جل وعلا- توبة صحيحة غفر الله له ذنبه ، ومحاه عنه ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [1] .

وبالله التوفيق .

(١) سورة الفرقان الآيات : ٦٨-٧٠ .

الدرس السادس
بيان الكفر والشرك في القرآن الكريم

١ - تمهيد

المناسبة بين هذا المبحث وما سبقه : أنا تكلمنا عن الإسلام والإيمان ، فلا بد من الكلام عما يضادهما ويخالفهما من الكفر والشرك ؛ لأنه لا يكفي أن يعرف الإنسان الحق فقط ؛ بل لا بد أن يعرف الحق ويعرف ما يضاده ، لئلا يقع فيه ، فما وقع كثير من الناس في الكفر والشرك إلا بسبب الجهل بهما ، وعدم العناية بمعرفتهما .

والله -جل وعلا- كما أنه بين الإسلام والإيمان ، ووضحهما لعباده ، كذلك بين الكفر والشرك من أجل الحذر منهما واجتنابهما ، ولأن الكفر والشرك وقع فيهما سوء فهم وخطأ من كثير من الناس ، بل وكثير ممن يدعون العلم يظنون أن الكفر هو مجرد الجحود والتكذيب فقط ، مع أن الجحود والتكذيب نوعان من أنواع الكفر ، كما فسروا الشرك بأنه الشرك في الربوبية أو قصروه على عبادة الأصنام .

وكثير ممن يدعون العلم غلطوا في معنى الشرك ، فقالوا : الشرك هو : الاعتقاد بأن أحدا يخلق ويرزق ويدبر مع الله سبحانه وتعالى ، فيقصرونه بذلك على الشرك في الربوبية فقط ، مع أن الشرك الخطير الذي جاءت الرسل بإنكاره هو الشرك في الألوهية ، في توحيد العبادة ، وليس مقصورا على الشرك في الربوبية بل إن الشرك في الربوبية لا يكاد يقع من أحد ، فغالب الأمم معترفون بتوحيد الربوبية ، وإنما حصل الخطأ والغلط والمخالفة في توحيد العبادة .

وبعضهم فسر الشرك بأنه : عبادة الأصنام فقط ، ولا يجعل منه عبادة الأولياء والصالحين ، وهذا غلط ؛ فإن كثيرا من المشركين لا يعبدون الأصنام ، وإنما يعبدون الأولياء والصالحين ويتخذون قبورهم مساجد ، ويستغيثون بهم ، إلى غير ذلك .

٢- بيان معنى الكفر لغة وشرعا

الكفر في اللغة يطلق ويراد به : ستر الشيء ، كفر كذا ، أي : ستره ، ومنه سمي الزارع كافرا ؛ لأنه يخفي البذور في الأرض ويدفنها ، فالكفر في اللغة هو الستر .

وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ (١) أن المراد بالكفار : الزراع ، والمشهور أن المراد بالكفار : أصحاب الكفر الملي : وأنه لا يبغض الصحابة إلا كافر ، هذا هو المشهور .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ (٢) ، قالوا : المراد بالكفار هنا الزراع ، يعجبون بالنبات الذي ينبته الله سبحانه وتعالى ، وهذا كفر لغوي .

أما الكفر في الشرع فهو : ضد الإيمان ، وهو : جحد الدين الحق وستره ، سمي كفرا ؛ لأن فيه سترا للحق وجحدا له .

٣- أقسام الكفر وأنواعه

الكفر قسمان في الأصل : كفر أكبر مخرج من الملة ، وكفر أصغر لا يخرج من الملة ، والكفر الأكبر أنواع كثيرة منها :

أولا : كفر الجحود : وذلك بأن يكون عندهم معرفة للحق في قلوبم ويقين به ، لكن يجحدونه ظاهرا ، إما عنادا أو تكبرا ، وإما لأجل طمع في رئاسة أو غير ذلك ، وعلى هذا غالب الكفار ؛ كما قال تعالى : ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٣٣ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤ ﴾ (٤) ، فأخبر أنم

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٢) سورة الحديد آية : ٢٠ .
(٣) سورة الأنعام آية : ٣٣ .
(٤) سورة النمل آية : ١٤ .

استيقنتها أنفسهم ، ولكن جحدوها ظلما وعلوا ، أي من أجل الظلم والعلو على الناس ، فهذا يسمى كفر الجحود .

وقال موسى - عليه الصلاة والسلام - لفرعون : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [1] فعلم فرعون أن ما جاء به موسى هو الحق ، ولكنه يتظاهر بإنكاره ظلما وعلوا ، وإبقاء على ملكه كما يزعم ، ولهذا قال له الملأ : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [2] من أجل هذا جحد الحق فقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [3] ، فهو يكذب في هذا ؛ لأن العقلاء يقرون جميعا بأن هذا الخلق له خالق مدبر ، وأن فرعون لم يخلق شيئا ، ولم يدبر شيئا ، وليس له ربوبية ، وإنما الربوبية للخالق سبحانه وتعالى ، ولكن الذي حمله على هذا : الكبر والإبقاء على ملكه ، وهذا كفر الجحود .

ثانيا : كفر التكذيب ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [4] ، سماهم كافرين بسبب أنهم كذبوا بآيات الله تعالى ، وكذبوا بالحق لما جاءهم ، ولما جاءهم رسول الله ﷺ كذبوه وقالوا : ساحر كذاب ، كذبوا محمدا ﷺ كما كذب غيرهم من الأمم رسلهم ؛ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [5] ، وقال : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [6] ، وقال : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [7] وقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [8] هذا كفر التكذيب .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٠٢ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٢٧ .
(٣) سورة القصص آية : ٣٨ .
(٤) سورة العنكبوت آية : ٦٨ .
(٥) سورة الشعراء آية : ١٠٥ .
(٦) سورة الشعراء آية : ١٢٣ .
(٧) سورة الشعراء آية : ١٤١ .
(٨) سورة الشعراء آية : ١٦٠ .

ثالثا : كفر الشك والظن ، بأن يكون شاكا فيما جاءت به الرسل ويظن أنه على غير حق ، وذلك كما في قوله سبحانه وتعالى في قصة الرجلين : ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ ﴾ [1] يعني : بستانه الذي فيه الأشجار والأنهار فأعجب به ، ﴿ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ [2] : شك في اليوم الآخر ، وشك في البعث ، ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [3] يقول : إن بعثت - يعني : هذا احتمال عنده - فأجد في الآخرة أحسن من هذه ؛ لأن الله تعالى ما أعطاني هذه الجنة في الدنيا إلا لكرامتي عليه ، وهو لتي عنده ، فإذا بعثت ، على فرض وجود بعث بعد الموت ، إذا بعثت سأجد خير منقلب عند الله ، وهذا منه شك والعياذ بالله في البعث ، وهذا كفر كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ ﴾ [4] ، قال له : ﴿ أَكَفَرْتَ ﴾ [5] ؛ لأن من شك أو ظن وبنى عقيدته على الظن والشك فهو كافر ؛ لأن الإيمان باليوم الآخر وغيره من أركان الإيمان لا بد فيه من اليقين ، وإلا يكون الإنسان كافرا .

رابعا : كفر الإعراض ، أي : الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [6] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [7] سماهم

(١) سورة الكهف الآيات : ٣٢-٣٥ .
(٢) سورة الكهف الآيتان : ٣٥، ٣٦ .
(٣) سورة الكهف آية : ٣٦ .
(٤) سورة الكهف آية : ٣٧ .
(٥) سورة الكهف آية : ٣٧ .
(٦) سورة الأحقاف آية : ٣ .
(٧) سورة الأحقاف آية : ٣ .

كافرين لإعراضهم عما أنذروا به ، فهم معرضون لا يهتمون ، لا يتعلمون الدين ولا يعملون به ، ولو تعلموا لا يعملون به ، هذا هو كفر الإعراض .

خامسا : كفر النفاق - والعياذ بالله - النفاق الاعتقادي . فالمنافقون كفار يظهرون الإسلام لكنهم كفار في قلوبهم وعقائدهم ، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ، والله سبحانه وتعالى بين حال المنافقين فقال سبحانه : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ [(١)] آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ، والعياذ بالله . ﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣ ﴾ [(٢)] هذا هو النفاق ، أن يتظاهر الإنسان بالإسلام ويبطن في قلبه الكفر ، وهو إنما يظهر الإيمان نفاقا من أجل أن يعيش مع المؤمنين ؛ لأنه لا يقدر على مجابهة المؤمنين ، ولا يقدر على مفارقتهم ، فاضطر إلى أن ينافق ، والعياذ بالله .

٤- أقسام النفاق

والنفاق ينقسم إلى قسمين : نفاق اعتقادي ، وهو كفر ، ونفاق عملي ليس اعتقاديا ، يكون الإنسان في قلبه مؤمنا وفي أغلب أعماله مؤمنا ، لكن يقول بعض أقوال المنافقين ، أو يتصف ببعض صفاتهم ، فهذا نفاق عملي ، وهو نفاق أصغر ، لكن إذا كثر في الإنسان ربما يجره إلى النفاق الأكبر ؛ قال ﷺ : ﴿ آية المنافق ثلاث : إذا حدث

(١) سورة المنافقون الآيات : ١-٣ .
(٢) سورة المنافقون آية : ٣ .

كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان ﴾ [1] [2] وفي رواية : ﴿ وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ﴾ [3] [4] وفي رواية زيادة : ﴿ وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ﴾ [5] [6] .

وقد يصدر من بعض المؤمنين بعض صفات النفاق ، فيكون فيهم نفاق أصغر ، ويجتمع فيهم إيمان ونفاق ، كما قال ﷺ ﴿ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ﴾ [7] [8] .

فقوله : ﴿ كان منافقا خالصا ﴾ [9] يدل على أن خصال النفاق إذا كثرت ربما أخرجته إلى النفاق الأكبر ، فيكون منافقا خالصا ، فإذا كان فيه واحدة منها فلا يكون منافقا خالصا وإنما يكون فيه شيء من النفاق ، وعلى كل حال فالنفاق أمره خطير جدا .

هذا هو الكفر ، وهذه بعض أنواعه المهمة ، كما بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم .

فأما الكفر الأصغر فهو بعض الذنوب التي سماها رسول الله ﷺ كفرا ولم تصل إلى الكفر الأكبر ، مثل قوله ﷺ : ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [10] ،

---

(١) البخاري الإيمان (٣٣) ، مسلم الإيمان (٥٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣١) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢١) ، أحمد (٣٥٧/٢) .

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وقد تقدم تخريجه .

(٣) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٤) تقدم تخريج هذا الجزء من حديث عبد الله بن عمرو المتفق عليه .

(٥) مسلم الإيمان (٥٩) .

(٦) أخرج هذه الزيادة مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب الإيمان ، باب (٢٥) ، رقم (١٠٩/٥٩) ، (٢٣٦/١) .

(٧) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(٨) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ، وقد تقدم تخريجه .

(٩) البخاري الإيمان (٣٤) ، مسلم الإيمان (٥٨) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠) ، أبو داود السنة (٤٦٨٨) ، أحمد (١٨٩/٢) .

(١٠) البخاري العلم (١٢١) ، مسلم الإيمان (٦٥) ، النسائي تحريم الدم (٤١٣١) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٢) ، أحمد (٣٥٨/٤) ، الدارمي المناسك (١٩٢١) .

فالمراد بالكفر هنا : الكفر الأصغر ؛ لأن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب ، لكنه لا يخرج به صاحبه من الإسلام ، لكن عنده كفر أصغر ؛ والدليل على ذلك أن الله -جل وعلا - قال : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [1] ثم قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ [2] .

فأخبر عن المقتتلين بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة ، فدل على أن القتل بغير حق ، وإن كان كبيرة وجريمة عظيمة إلا أنه لا يخرج القاتل من الإيمان إلى الكفر .

وكما في قوله ﷺ : ﴿ أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ﴾ [3] [4] ﴿ على الميت ﴾ [5] ، سماها من خصال الجاهلية ، والجاهلية كفر ، ولكن لو كان فيه خصلة منها فلا يقال : إنه كافر الكفر المخرج من الملة ، وإنما يقال : هذا من الكفر الأصغر .

فليس كل من كان فيه شيء من أمور الجاهلية ، ويكون كفرا أصغر ؛ كما قال ﷺ لبعض أصحابه : ﴿ إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾ [6] ، وهذا صحابي جليل ، لكن لما قال كلمة عير بها أخاه فقال له : يا ابن السوداء ، قال ﷺ : ﴿ أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ﴾ [7] [8] فدل على أن خصال الجاهلية هي نوع من الكفر لكنها لا تخرج من الملة ، لكنها خطيرة ؛ لأن تسميتها كفرا يدل على خطورتها .

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٠ .

(٣) مسلم الجنائز (٩٣٤) ، ابن ماجه ما جاء في الجنائز (١٥٨١) ، أحمد (٣٤٣/٥) .

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري : كتاب الجنائز ، باب (١٠) ، رقم (٩٣٤) (٤٧٥/٣) .

(٥) مسلم الإيمان (٦٧) ، الترمذي الجنائز (١٠٠١) ، أحمد (٢٩١/٢) .

(٦) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .

(٧) البخاري الإيمان (٣٠) ، مسلم الأيمان (١٦٦١) ، أبو داود الأدب (٥١٥٧) ، أحمد (١٦١/٥) .

(٨) متفق عليه بنحوه من حديث المعرور بن سويد : البخاري : كتاب الإيمان ، باب (٢٢) ، رقم (٣٠) ، (١١٥/١) ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (١٠) ، رقم (١٦٦١) ، (٨٣٤/٦) .

ومن الكفر الأصغر: قوله ﷺ ﴿ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ﴾ (١) (٢)
" كفر " يعني : الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة ، و " أشرك " الشرك الأصغر .

٥- معنى الشرك

وأما الشرك فهو : " صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ " .

والعبادة أنواع كثيرة : كالدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والذبح ، والنذر ، والخوف ، والرغبة ، والرهبة ، والرجاء .

وهي عبادات قولية ، وعبادات فعلية ، وعبادات قلبية .

فالخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة ، والخشية ، والتوكل ، والمحبة ، هذه عبادات قلبية .

والصلاة والصيام عبادات بدنية ، والذكر والدعاء عبادات قولية .

والقول الجامع في معنى العبادة أنا : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، الظاهرة والباطنة .

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله ﷻ فإنه يكون مشركا بالله عز وجل .

(١) الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٥) ، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٥١) ، أحمد (٦٩/٢) .
(٢) أخرجه من حديث ابن عمر : أبو داود : كتاب الإيمان ، باب (٥) ، رقم (٣٢٥١) ، (٣٧١/٣) .
والترمذي : كتاب النذور ، باب (٩) ، رقم (١٥٣٩) ، (١١٠/٤) ، واللفظ له .

٦- أقسام الشرك وأنواعه

والشرك في الأصل نوعان : شرك أكبر ، وشرك أصغر .

والشرك الأكبر أنواع كثيرة ذكرها الله -جل وعلا- في القرآن ، فمن دعا غير الله فهو مشرك ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٢) أي : مخلصين له الدعاء ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٣) فدعاء الأولياء والصالحين والجن ، والاستنجاد بهم عند الشدائد شرك أكبر ، وإن كان هذا الداعي لهم يصلي ويصوم ويدعي الإسلام ، فإنه بدعائه لغير الله تحبط أعماله .

وكذلك الصلاة لا تصرف إلا لله ؛ قال تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ (٤)

وكذلك الذبح : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ (٥) قرن النحر مع الصلاة ، فدل على أنهما من أعظم أنواع العبادة ، وكما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٦)

فالصلاة والذبح عبادتان عظيمتان .

الصلاة عبادة بدنية ، والذبح عبادة مالية ، والزكاة عبادة مالية .

أما الحج فعبادة بدنية وعبادة مالية ، يجمع بينهما .

---

(١) سورة الجن آية : ١٨ .
(٢) سورة غافر آية : ١٤ .
(٣) سورة غافر آية : ١٤ .
(٤) سورة الكوثر آية : ٢ .
(٥) سورة الكوثر آية : ٢ .
(٦) سورة الأنعام الآيتان : ١٦٢، ١٦٣ .

ومن العبادات : التوكل ؛ قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [(١)] قصر التوكل على الله جل وعلا ؛ لأن تقديم المعمول يدل على الاختصاص .

فقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾ [(٢)] أي : لا على غيره ، فالتوكل عبادة ، ومن توكل على غير الله فقد أشرك .

وكذلك الخشية والخوف؛ قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [(٣)] وقال سبحانه : ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [(٤)] فالخوف والخشية عبادتان يجب أن تكونا لله عز وجل .

والنذر عبادة ، فمن نذر للقبر ، أو نذر للميت ، أو نذر للجن ، يكون مشركا ؛ لأنه صرف نوعا من العبادة لغير الله ﷻ وقد قال ﷺ : ﴿ لعن الله من ذبح لغير الله ﴾ [(٥)] ، وكذلك حديث الرجلين اللذين أخبر عنهما النبي ﷺ فيما روي عنه أنه قال : ﴿ (دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب) قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ ! قال : (مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد (أي لا يتعداه أحد) حتى يقرب له شيئا ، فقالوا لأحدهما : قرب ، قال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله ﷻ) امتنع عن الشرك) ، فقتلوه ، فدخل الجنة ، وقالوا للآخر : قرب ، قال : ما عندي شيء أقربه ، قالوا ؛ قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا فخلوا سبيله ، فدخل النار ﴾ [(٦)] ؛ لأنه

---

(١) سورة المائدة آية : ٢٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ٢٣ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٧٥ .

(٤) سورة البقرة آية : ٤٠ .

(٥) مسلم الأضاحي (١٩٧٨) ، النسائي الضحايا (٤٤٢٢) ، أحمد (١١٨/١) .

(٦) روي مرفوعا مرسلا من حديث طارق بن شهاب والصواب وقفه على سلمان الفارسي كما رواه : أحمد في الزهد ص ٨٤ ، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٣/١) ، وابن أبي شيبة في المصنف : كتاب السير ، باب (٨٥) رقم (٣٣٠٢٨) ، (٤٧٧/٦) .

وافقهم على التقرب لغير الله ﷻ ولم يمانع ، فالعبرة ليست بالذباب ، وإنما العبرة بالموافقة على الكفر .

ومن أنواع الشرك الأكبر : الشرك في الطاعة ، في تحليل الحرام وتحريم الحلال ؛ قال جل وعلا : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(١)] ، فمن أطاع مخلوقا في تحليل الحرام وتحريم الحلال ، وهو يعرف أنه حرم الحلال أو أحل الحرام ، فوافقه على ذلك فإنه يكون مشركا ، الشرك الأكبر ، وهذا هو شرك الطاعة ، أما إذا كان لا يعلم ، بل أطاعه ثقة به وهو لا يعلم أنه حلل الحرام أو حرم الحلال ، فهذا لا يعد من الشرك الأكبر .

ومن أنواع الشرك الأكبر : السحر ، فالساحر مشرك ؛ لأنه أطاع الشيطان ، وكذلك الكاهن ؛ لأنه أطاع الشياطين وخضع لهم .

ومن ذلك الذبح لغير الله لقصد العلاج ، كما يفعلون عند السحرة يأمرونهم بأن يذبحوا من أجل شفاء أمراضهم ، فإذا استجاب وذبح لغير الله يكون مشركا الشرك المخرج من الملة ؛ لأن الله لم يجعل الدواء فيما حرم ، بل هذا حرام شديد التحريم ، وأعظم المحرمات الشرك ، فإذا وافق على الذبح عند السحرة طمعا في الشفاء فإنه يكون مشركا خارجا من الملة ، ولو ذبح شيئا يسيرا ولو دجاجة ، فضلا عن الذي يذبح الأغنام أو الإبل أو البقر فالذبح لغير الله لأي سبب كان : إما لشفاء المرض ، أو نزول المطر ، كما يفعل بعض الناس إذا أجدبوا يذبحون لبعض الأحجار أو يذبحون للجن ، يطلبون نزول المطر بذا ؛ فهذا هو الشرك الأكبر .

النوع الثاني من أنواع الشرك : الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة .

وهو نوعان : شرك ظاهر ، وشرك خفي .

---

(١) سورة التوبة آية : ٣١ .

النوع الأول : الشرك الظاهر : الشرك في الألفاظ ، كأن يقول : لولا الله وفلان ، لولا الله وأنت ، ما شاء الله وشئت ! وهذا شرك أصغر وهو شرك في اللفظ ولو لم يكن يعتقده بقلبه .

وكذلك الحلف بغير الله ، فهو شرك أصغر ؛ لقوله ﷺ : ﴿ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك ﴾ [(١)] [(٢)] شك الراوي هل قال رسول الله ﷺ " كفر " أو قال ﷺ " أشرك " على كل حال هو إما شرك أصغر أو كفر أصغر ، إلا إذا كان الحالف يعظم المحلوف به كما يعظم الله ﷻ فهذا من الشرك الأكبر ، أما إذا كان لا يعظمه مثلما يعظم الله ﷻ فإن هذا يكون شركا أصغر .

والحلف بغير الله : كالحلف بالأمانة ، والحلف بالرسول ، والحلف بالكعبة ، والحلف بحياة شخص ، والحلف بأي مخلوق من مخلوقات الله عز وجل . كل هذا من الشرك ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ﴾ [(٣)] [(٤)] .

النوع الثاني : الشرك الخفي الذي يكون في القلب ولا يراه الناس ولا يسمعونه ، إنما هو شيء يقوم بالقلب ، وذلك شرك الرياء : أن يصلي من أجل أن يمدحه الناس ، أو يتصدق من أجل أن يمدحه الناس . فهذا شرك لا يعلمه إلا الله جل وعلا .

وفي هذا النوع قال ﷺ : ﴿ ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من فتنة المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الشرك الخفي ، يقوم الرجل ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل ﴾ [(٥)] [(٦)] .

---

(١) الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٥) ، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٥١) ، أحمد (٦٩/٢) .
(٢) أخرجه من حديث ابن عمر ؛ أبو داود والترمذي ، وقد تقدم تخريجه .
(٣) البخاري الشهادات (٢٥٣٣) ، مسلم الأيمان (١٦٤٦) ، الترمذي النذور والأيمان (١٥٣٤) ، أبو داود الأيمان والنذور (٣٢٤٩) ، أحمد (١١/٢) ، مالك النذور والأيمان (١٠٣٧) ، الدارمي النذور والأيمان (٢٣٤١) .
(٤) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر : كتاب الشهادات ، باب (٢٦) ، رقم (٢٦٧٩) ، (٣٥٣/٥) ، ومسلم (رقم ١٦٤٦) .
(٥) ابن ماجه الزهد (٤٢٠٤) ، أحمد (٣٠/٣) .
(٦) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري : كتاب الزهد ، باب (٢١٩ ، رقم (٤٢٠٤) ، (٤٧٠/٤) .

فمن تصدق يرائي ، أو صلى يرائي ، أو تعلم العلم يرائي ، أو ذكر الله يرائي ، فإنه قد أشرك بالله شركا أصغر ، وهو الشرك الخفي الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

قال ﷺ ﴿ الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ﴾ [1] [2]

وهذا هو الذي خافه الصحابة -رضي الله عنهم - على أنفسهم ، وهم الصحابة !

٧- وجوب الخوف والتحرز من الشرك وبيان عظيم خطره في الدنيا والآخرة

وكلما خاف الإنسان من الشرك اشتد تحرزه منه ، وكلما أمن الإنسان من الشرك وقع فيه ، فعلى الإنسان أن لا يزكي نفسه ويقول : أنا ما عندي شرك أكبر . نعم ، لكن الشرك الأصغر محبط للعمل الذي يخالطه ؛ إذ قد تعمل الأعمال ولا أجر لك فيها .

فمن صلى يرائي فلا أجر له ، ومن تصدق يرائي فلا أجر له ، ومن جاهد يرائي فلا أجر له ، ومن تعلم العلم يرائي فلا أجر له ، بل يكون آثما ، فالإنسان يجب أن يخاف من الشرك الأكبر ومن الشرك الأصغر .

ولهذا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وهو إمام الموحدين الذي كسر الأصنام بيده ، وامتحن بسبب ذلك حتى ألقي في النار يقول في دعائه : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [3] فلم يأمن إبراهيم على نفسه من الفتنة ، وأن يقع في الشرك الأكبر (عبادة الأصنام) ، فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- ؟ !

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية : [4] .

---

(١) أحمد (٤٠٣/٤) .

(٢) أخرجه مرفوعا ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره لآية البقرة (٢٢) ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ عن ابن عباس مرفوعا .

(٣) سورة إبراهيم الآيتان : ٣٥، ٣٦ .

(٤) انظر : الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، المشهورة بالنونية للإمام ابن القيم (٢٦٣/٢) ابن عيسى الشقري .

والشـرك فـاحذره : فشـرك ظاهر	ذا القسـم لـيس بقـابل الغفـران
وهـو اتخـاذ الـند للـرحمن أيــ	ــا كـان مـن حجـر ومن إنسان
يدعــوه أو يــرجوه ثم يخافــه	و يحــبه كمحــبة الديــان

وأما الشرك الخفي فهو كما بينه النبي ﷺ بقوله : ﴿ أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر ، فسئل عنه ، فقال : الرياء ﴾ [1] [2] نسأل الله العافية .

وهذا الرياء آفة خطيرة جدا ، وقد بين العلامة ابن رجب رحمه الله في شرح الأربعين : أن الرياء إذا صاحب العمل من أصله فإنه لا يقبل ، أما إذا كان العمل أصله خالصا لله ، ثم طرأ عليه الرياء في أثناء العمل : فإن دفعه الإنسان ورجع إلى الإخلاص لم يضره ، وإن استمر معه : ففيه خلاف : هل يثاب على أصل العمل ، أو يبطل عمله كله ؟ قولان عند أهل العلم [3] فهذا يدل على خطورة الرياء ، وقد قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [4] .

ثم لنعلم أن الشرك اليوم قد خفي أمره على كثير من الناس ، وسمي بغير اسمه ، فهؤلاء الذين يعبدون الأموات والأضرحة : ويطوفون بها ، ويستغيثون بها ، ويدعونها من دون الله !! إذا قيل لهم : هذا هو الشرك الأكبر ، قالوا : لا ، هذا محبة للصالحين ، وهذا توسل إلى الله -سبحانه وتعالى- من أجل أن يشفعوا لنا عنده ؛ لأنهم أصحاب منزلة ومكانة عند الله ، ونحن أناس مذنبون ، فهم يتوسطون لنا عند الله -جل وعلا- ، ونحن نعتقد أنهم لا يخلقون ولا يرزقون ، ولا يدبرون مع الله ، لكننا اتخذناهم وسائط بيننا وبين الله ! ! فيسمون هذا الشرك الأكبر بغير اسمه ، وهذا هو فعل المشركين الأولين ؛ كما بينه الله في القرآن ، لا جدال فيه ، قال تعالى : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا

(١) أحمد (٤٢٩/٥) .

(٢) أخرجه بمعناه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ، وقد تقدم تخريجه .

(٣) انظر : جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب .

(٤) سورة الكهف آية : ١١٠ .

يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ (١) ، ما قالوا يخلقون ، ويرزقون ويحيون ويميتون ، ويدبرون ؛ بل قالوا : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ (٢) . وفي آية أخرى يقول جل وعلا : ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (٣) .

ما عبدوهم لأنهم يخلقونهم أو يرزقونهم ، أو يحيون أمواتهم ، أو أنهم يشفون مرضاهم ؛ لأنهم يعتقدون أن هذا لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا ، ولكنهم اتخذوهم أولياء ليقربوهم إلى الله زلفى .

فالأمر خطير جدا ؛ لأن الشرك الآن سمي بغير اسمه تلبيسا على الناس ، وأكثر الناس لا يرجعون إلى القرآن ، مع أن القرآن وضحه وبينه ، لكنهم يرجعون إلى أقوال علمائهم المضلين ، وأئمتهم الضالين ، ويتخذون أقوالهم نصوصا يستدلون بها ، ولا يستدلون بكلام الله ﷻ وهو واضح في الأمر لا خفاء فيه .

نسأل الله العافية والسلامة . فهذا هو الشرك بعينه .

والله جل وعلا -في القرآن العظيم - حذر من الكفر ، وحذر من الشرك وبين عاقبة أهلهما في الدنيا والآخرة ، فتوعد الكافرين ، وأعد لهم سعيرا ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ۝ ﴾ (٤) ، هذا وعيد الكافرين ، وهذه عاقبتهم -والعياذ بالله - في الدار الآخرة .

(١) سورة يونس آية : ١٨ .
(٢) سورة يونس آية : ١٨ .
(٣) سورة الزمر الآيتان : ٢، ٣ .
(٤) سورة الأحزاب الآيات : ٦٣-٦٨ .

أما عقوبتهم في الدنيا فإن الله أباح للمسلمين دماءهم وأموالهم حتى يدخلوا في الإسلام ؛ قال ﷺ : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ﷻ ﴾ [1] [2] فالكافر مهدر الدم ، حلال المال ، حتى يدخل في الإسلام الذي شرعه الله لعباده ، وخلق الخلق من أجله ، وهو خالد مخلد في النار إذا مات على الكفر ، والعياذ بالله .

وقال جل وعلا عن النار : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [3] ، وقال عن مصير الكافرين : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [4] هؤلاء هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها ، وبقوا على كفرهم وعنادهم ومعاداتهم للرسل ، هذه عاقبتهم عند الله سبحانه وتعالى .

وأما الشرك فإن الله -سبحانه وتعالى- حذر منه غاية التحذير ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [6] ، فالله -جل وعلا- يقول لرسوله ولمن قبله من الرسل : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ [7] وهذا من باب الفرض ، وإلا فالرسول ﷺ

---

(١) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٢) متفق عليه من حديث عمر : البخاري : كتاب الزكاة ، باب (١) ، رقم (١٣٩٩٠) ، (٣٣١/٣) ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (٨) رقم (٢٠) ، (١٥٠/١) .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٤ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٤٠، ٤١ .

(٥) سورة المائدة آية : ٧٢ .

(٦) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(٧) سورة الزمر آية : ٦٥ .

وإخوانه من النبيين عصمهم الله من الشرك ، لكن هذا من باب تحذير الناس ، وأن الرسول لو وقع منه ذلك لحبط عمله ، فكيف بغيره ؟ ! لا شك أن حبوط عمل غيرهم من باب أولى ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (١) .

فإذا كان أي نوع من أنواع الشرك الأكبر يحبط الأعمال كلها ، وإذا كان الشرك -أيضا- يحرم الجنة على المشرك ، ويكون مأواه النار ، مقره ومسكنه أبد الآباد ، والعياذ بالله ، وإذا كان لا يغفره الله لمن مات عليه فهذا يدل على خطورة الشرك ، وأن الإنسان يخاف منه غاية الخوف ، ويحذر منه غاية الحذر .

٨- الفرق بين الشرك والكفر

بينهما عموم وخصوص مطلق ، فكل مشرك كافر ، وليس كل كافر مشركا ؛ لأن الكفر قد يكون بالجحود والتكذيب والتعطيل ، فهذا يسمى صاحبه كافرا فقط ، ولا يسمى مشركا ؛ لأنه لا يؤمن بالرب سبحانه وتعالى ، أما المشرك فإنه يؤمن بالرب ، لكنه يعبد معه غيره ، هذا هو الفرق بين المشرك والكافر .

٩- نواقض الإسلام

الإنسان قد يسلم وقد يؤمن ويترك الشرك والكفر ، لكن تطرأ عليه الردة ، بأن يرتكب ناقضا من نواقض الإسلام ، ومعرفة هذه النواقض مهمة جدا . فمن ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام ؛ فإنه يوصف بـ " المرتد " ، وهو : الذي يكفر بعد إسلامه . وينكص على عقبيه ، ويرتد عن دينه .

والله -جل وعلا- حذر من الردة بعد الإيمان ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنعام آية : ٨٨ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ (١) صار مثل الكفار الأصليين .

قوله : ﴿ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ ﴾ (٢) أي : الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه ، والعياذ بالله ﴿ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ (٣) مع أنهم كانوا مسلمين ، لكن لما ارتدوا صاروا مع الكفار الأصليين .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ (٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٥) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (٦) .

وقال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٧ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢١٧ .
(٤) سورة النساء آية : ١٣٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ٩٠ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٦٢ .
(٧) سورة المائدة آية : ٥٤ .

وقال النبي ﷺ : ﴿ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ [(١)] [(٢)] .

فقوله : ﴿ التارك لدينه المفارق للجماعة ﴾ [(٣)] المراد به : المرتد .

وقال ﷺ : ﴿ من بدل دينه فاقتلوه ﴾ [(٤)] [(٥)] .

١٠- الردة

فالردة هي الرجوع عن الإسلام . وتكون إما بالقول ، وإما بالفعل ، وإما بالاعتقاد ، وإما بالترك .

أ - تكون بالقول : كأن يتكلم الإنسان بكلمة الكفر غير مكره ، فيرتد بذلك عن الإسلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [(٦)] .

فإذا نطق الإنسان بكلمة الكفر ؛ فإنه يحكم بكفره ، إلا أن يكون مكرها ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ

---

(١) البخاري الديات (٦٤٨٤) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦) ، الترمذي الديات (١٤٠٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١٦) ، أبو داود الحدود (٤٣٥٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤) ، أحمد (١٨١/٦) ، الدارمي الحدود (٢٢٩٨) .

(٢) متفق عليه من حديث ابن مسعود : البخاري : كتاب الديات ، باب (٦) ، رقم (٦٨٧٨) ، (١٢/ ٢٥٠) ومسلم : كتاب القسامة ، باب (٦) ، رقم (١٦٧٦) ، (١٦٦/٦) ، واللفظ له .

(٣) البخاري الديات (٦٤٨٤) ، مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٦) ، الترمذي الديات (١٤٠٢) ، النسائي تحريم الدم (٤٠١٦) ، أبو داود الحدود (٤٣٥٢) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٤) ، أحمد (٤٤٤/١) ، الدارمي الحدود (٢٢٩٨) .

(٤) البخاري الجهاد والسير (٢٨٥٤) ، الترمذي الحدود (١٤٥٨) ، النسائي تحريم الدم (٤٠٦٠) ، أبو داود الحدود (٤٣٥١) ، ابن ماجه الحدود (٢٥٣٥) ، أحمد (٢٨٢/١) .

(٥) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس : كتاب الجهاد والسير ، باب (١٤٩) ، رقم (٣٠١٧) ، (١٨٠/٦) .

(٦) سورة التوبة آية : ٧٤ .

ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [1] فلم يعذر الله في التلفظ بكلمة الكفر إلا المكره .

أما غير المكره فإنه يكفر ، سواء كان جادا ، أي : قاصدا لمعنى الكلمة ، أو كان هازلا لم يقصد معناها وإنما جاء بها عن طريق المزاح واللعب ، فإنه يكفر بها ، وهذا بنص القرآن ، وذلك لما تكلم أناس في غزوة تبوك وقالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء : أكذب ألسنا ، وأرغب بطونا ، وأجبن عند اللقاء ، يعنون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فبلغت مقالتهم رسول الله ﷺ فجاءوا يعتذرون إليه مما قالوا في مجلسهم ، وجعلوا يقولون : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾ [2] ، فيقول لهم رسول الله ﷺ : ﴿ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ [3] [4] .

فإذا نطق بكلمة يستهزئ فيها بالدين ، أو يستهزئ بالله أو برسوله ، فإنه يكفر بذلك ولو كان يمزح ويلعب ؛ لأن هؤلاء الذين نزلت فيهم الآية كانوا مؤمنين ، وكانوا يقولون تلك الكلمة ويزعمون أنها من باب التسلية ، ويقطعون بها عنهم تعب السفر ؛ لأنهم كانوا مسافرين ، ومع ذلك حكم الله بكفرهم ولم يقبل اعتذارهم ، فهذا كفر بالقول .

ب - وقد يكون الكفر بالاعتقاد : كأن يعتقد شريكا لله ﷻ أو يعتقد صحة ما عليه الكفار ولو لم ينطق بلسانه ؛ لأن الله جل وعلا حكم بكفر المنافقين ؛ لأنهم يعتقدون بقلوبهم الكفر مع أنهم ما نطقوا به ، بل ينطقون بخلافه ، فمن اعتقد الكفر بقلبه - ولو لم ينطق بلسانه ، ولو لم يعمل به - فإنه يكون كافرا كفر المنافقين الذين يظهرون الإسلام ، ويعتقدون في قلوبهم خلاف ما يقولون بأفواههم .

---

(١) سورة النحل الآيات : ١٠٦- ١٠٩ .
(٢) سورة التوبة آية : ٦٥ .
(٣) سورة التوبة الآيتان : ٦٥، ٦٦ .
(٤) أخرج هذا الحديث ابن جرير في تفسير سورة التوبة ، آية (٦٥) ، رقم (١٦٩١٢) .

وكذلك الشك والظن ، فإن شك في حقائق الإيمان كفر ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ [1] إشارة لمن قال : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ [2] ، فلما شك في قيام الساعة كفر بذلك ، والذي عنده شك في أمور الدين المعلومة منه بالضرورة يكون كافرا بنص هذه الآية الكريمة .

ج - وكذلك يكون الكفر بالفعل ، إذا فعل أفعال الشرك وأفعال الكفر حكمنا عليه بالكفر : فإذا ذبح لغير الله ، أو سجد لغير الله ، أو استغاث بغير الله ، فإنه يحكم بكفره ، ولو قال : أنا ما أعتقد هذا بقلبي ، نقول : فعلك هذا كفر ، ونحكم عليه بالكفر بما ظهر منك .

د - وكذلك الترك : إذا ترك شيئا من أمور الدين كالصلاة مثلا ، فإذا ترك الصلاة متعمدا فإنه يحكم بكفره ؛ لقوله ﷺ : ﴿ العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر ﴾ [3] [4] علق الكفر على ترك الصلاة متعمدا ، فإما إذا كان غير متعمد فهذا لا يكفر بل يعد مخطئا .

وقال ﷺ : ﴿ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ﴾ [5] فعلق الكفر على مجرد الترك ولو كان لم يجحد وجوبا ، فأما إذا جحد وجوبا ، فهذا كافر ولو صلى في الصف الأول ، ولو كان يقول : إن الصلاة طيبة وعبادة ، لكنها ليست واجبة ، فهذا كافر بالإجماع ، ولو كان يحافظ على الصلاة .

(١) سورة الكهف آية : ٣٧ .
(٢) سورة الكهف آية : ٣٦ .
(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٢١) ، النسائي الصلاة (٤٦٣) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٩) ، أحمد (٣٤٦/٥) .
(٤) أخرجه الخمسة - إلا أبا داود - وقد تقدم تخريجه .
(٥) أخرجه مسلم من حديث جابر ، وتقدم تخريجه .

وكذلك من جحد وجوب الزكاة ، أو وجوب الحج ، أو وجوب الصيام ، يكون كافرا ولو فعل هذه العبادات ، ولكن الكلام في الذي يترك الصلاة وهو يعتقد وجوبا ، فهذا يكفر بنص الحديث .

هذه بعض أنواع الردة على سبيل الإجمال ، وإذا راجعت كتاب أحكام المرتد في كتب الفقه ترى العجب العجاب ، حتى قال بعضهم : إن الردة تزيد على أربعمائة ناقض من نواقض الإسلام .

فالأمر خطير جدا ، ولا يجوز أن يتهاون في هذا الأمر ؛ لأنه في هذه الأيام بالذات ، ظهر قول غريب ، يقول أصحابه : إن الإنسان لا يكفر مهما فعل ، ومهما قال ، إلا إذا كان في قلبه مكذبا وجاحدا ! يا سبحان الله ! يغفل عن نصوص القرآن ونصوص السنة ويأتي بقول محدث ! هذا تضليل للناس ، وهذا تهوين من شأن الكفر ومن شأن الشرك ، والعياذ بالله ، فيجب أن لا نغتر بهذا القول ، ولا بمن قاله ، وإن كان ينتسب إلى السنة وإلى السلف ، فهذا قول لا يقبله صاحب سنة أبدا ؛ لأنه مخالف للكتاب والسنة ، وهو مبني على الجهل والقول على الله بلا علم ، والجحود والتكذيب - كما تقرر سابقا - نوعان من أنواع الكفر ، وليس محصورا فيهما .

فالواجب على المسلم : أن يكون على بصيرة من دينه ويأخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا من أقوال الناس الذين هم عرضة للخطأ والصواب ، ونحن نعتقد أن هؤلاء وقعوا في هذا لا عن قصد ، وإنما وقعوا فيه عن جهل ، نسأل الله لنا ولهم الهداية والبصيرة ، والعلم النافع ، والرجوع إلى الحق ؛ فإن الرجوع إلى الحق فضيلة ، والحق أحق أن يتبع وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الدرس السابع
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١ - تمهيد في بيان أهميته

لا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جانب عظيم من الدين ، حتى عده بعض العلماء من أركان الإسلام ، وفي بيان جبريل -عليه السلام- لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام وذكر له أركان الإسلام الخمسة ، قال : ﴿ . . . وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴾ .

وكان الصحابة يبايعون النبي ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وذلك أن الناس ، وإن كانوا مسلمين ومؤمنين ، لكن تقع منهم مخالفات ، فالإنسان ضعيف تجره الشهوة والفتن إلى الشر ، ويحتاج إلى من يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ؛ لأن داعي الشهوات والشبهات داع كبير ، والله -جل وعلا- يمتحن إيمانه نقص ، أو المنافق الذي ليس عنده إيمان أصلا ، فالله يمتحنهم ويبتليهم بما يعرض لهم من الشهوات والشبهات ودواعي الشرور ، فكان لا بد من قيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأجل إصلاح ذلك الخلل .

فقد شبه النبي ﷺ " القائم على حدود الله " ، أي : الملتزم بحكم الله القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " والواقع فيها " ، أي : العاصي والمخالف ، شبههم بقوم استهموا على سفينة في البحر ، بعضهم أصاب أعلاها ، أي الطابق العلوي ، وبعضهم أصاب أسفلها ، فكان الذين في الدور الأسفل يحتاجون إلى أن يصعدوا على الدور الأعلى ليستقوا الماء ويأخذوه للشرب والاستعمال ، فقال بعضهم لبعض ، أي : الذين في الدور الأسفل : لو خرقنا في قسمنا خرقا نأخذ منه الماء ولا نؤذي من فوقنا ، فلو تركهم أهل

الدور العلوي يخرقون السفينة ، لغرق الجميع ؛ إذ يدخل الماء السفينة ويغرق الجميع ، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم من خرق السفينة نجا الجميع [(١)] .

فكذلك في حدود الله ، والسفينة هنا : هي الشريعة ؛ لأنه لا نجاة للبشر إلا بهذه الشريعة ، والذي يخرقها : هو الذي يعصي ويخالف ، وهم أهل الدور الأسفل ، والذين يمنعونهم ويأخذون على أيديهم هم أهل العلم والعقل والإيمان في الدور الأعلى ، ولو تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخرقت الشريعة وغرقوا جميعا .

هذا مثل مطابق للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وأنه إذا قام أهل العلم وأهل العقول السليمة يأخذون على أيدي السفهاء ، نجوا جميعا من الهلاك والعذاب ، وأما إذا تركوهم وشأنهم وتساهلوا في أمرهم ، فإنهم يخرقون الشريعة بالمعاصي ويغرق الجميع .

فهذا من الأمثلة النبوية العظيمة التي ضربها رسول الله ﷺ للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والمخالفين .

٢- الأدلة من القرآن على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على هذا الأمر قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [(٢)]

فهذا أمر من الله سبحانه وتعالى ؛ لأن اللام في : ﴿ ولتكن ﴾ للأمر ﴿ أمة ﴾ ، أي : جماعة ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فإذا قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جماعة من أهل العلم والبصيرة ، فإنهم قاموا بفرض الكفاية ، وإذا تركه الجميع أثموا جميعا وهلكوا .

وقوله : ﴿ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ [(٣)] أي : يدعون إلى الإسلام وشريعته وإلى الإيمان .

---

(١) في حديث النعمان بن بشير ، أخرجه البخاري : كتاب الشركة ، باب (٦) ، رقم (٢٤٩٣) ، (١٦٣/٥) .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

قوله : ﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ [1] : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من الدعوة إلى الله ، ولكن الله -جل وعلا- أفرده بالذكر تأكيدا لشأنه ، وإلا فهو داخل في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

والمراد بالمعروف : كل ما أمر الله -تعالى- به من الطاعات ؛ سمي معروفا ؛ لأن العقول السليمة تعرفه ولا تنكره .

والمنكر : كل ما نهى الله عنه ؛ سمي منكرا ؛ لأن العقول السليمة تنكره .

وأعظم الأمر بالمعروف : الأمر بالتوحيد ، وبعده سائر الأوامر الشرعية وأعظم المنكر الشرك بالله ﷻ ثم بقية المخالفات من الذنوب والمعاصي ، فالمعروف إذا يشمل كل الطاعات ، والمنكر يشمل كل المعاصي .

ثم قال جل وعلا : ﴿ وأولئك ﴾ : أي : الذين يدعون إلى الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [2] : حصر الفلاح فيهم ، فدل على أن الذين يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر لا يفلحون .

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [3] : هذا خطاب لهذه الأمة ، ﴿ كنتم ﴾ أي : أمة الإسلام ، ﴿ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [4] ؛ لأنهم أنفع الناس للناس ، يدعونهم إلى الله ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور ، ويبصرونهم ، ويعلمونهم ، فهذه أمة هي خير أمة أخرجت للناس ؛ لما تقوم به من نفع العالم لإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فخيرهم ليس قاصرا عليهم ؛ بل هو متعد إلى غيرهم ، فلذلك نالوا هذه الخيرية .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

وقوله : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [1] : هذا من صفات هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [2] أي : بكل طاعة وخير ، ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [3] أي : عن كل معصية وشر . ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [4] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان ولذا قال بعده : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [5] ذكر الخاص قبل العام ، فالذي يريد أن يكون من خير أمة أخرجت للناس يقوم بذا العمل : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ولو تخلت هذه الأمة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذهبت خيريتها ؛ لأنا إنما نالت هذه المرتبة وهذه الخيرية بذه الخصلة العظيمة : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [6] ، فهم يصلحون عقائد الناس ، ويصلحون أعمالهم ومعاملاتم وآدابم ، ويقيمونم على دين الله ﷻ وأي نفع للعالم أعظم من هذا النفع ؟

أما الذي يخرج للناس الآلات المدمرة والأسلحة الفتاكة ، فهذا لا يريد الخير للناس ، إنما يريد الهلاك ، وإرادة الخير للناس هي في الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر .

وقال سبحانه مادحا بعض أهل الكتاب ، ومستثنيا لهم من قومهم الذين اشتهروا بمخالفتهم لرسلهم وكتبهم ، قال تعالى : ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [7] أي ؛ قائمة على أمر الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١١٠ .
(٧) سورة آل عمران الآيتان : ١١٣، ١١٤ .

فوصفهم بصفة صلاحهم في أنفسهم ؛ يتلون كتاب الله آناء الليل ويؤمنون بالله واليوم الآخر ، هذا صلاح أنفسهم ، ثم ذكر من صفاتم : إصلاحهم لغيرهم ، فقال تعالى : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [1] فهم يصلحون غيرهم ، فالمؤمن يريد الخير للناس كما يريده لنفسه ؛ قال ﷺ : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾ [2] [3] والذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يريد للناس الخير ، والذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر يريد للناس الشر .

ويتصور بعض الناس أن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يتدخل في أمور الناس ، وأنه متعجل ! ! وهذا من انتكاس المفاهيم .

والحق أن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إنما يريد للناس الخير ، يريد لهم الإصلاح ، والذي يسكت ويقول أنا لا أتدخل في شئون الآخرين ! ! هذا هو الذي يريد للناس الشر ، ولا يحب لهم الخير .

وقال سبحانه في سورة المائدة لما ذكر ما وقع من أهل الكتاب من قولهم الإثم وأكلهم السحت ، قال سبحانه : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [4] قوله : ﴿ لولا ﴾ أي : هلا ، وهذا لوم من الله جل وعلا لعلماء أهل الكتاب الذين سكتوا وتركوا قومهم يقولون الإثم ، يتكلمون بكل كلام قبيح ، ولا ينهونم ، ويأكلون السحت ، وهو : الحرام من الرشوة والربا وغير ذلك ، ولا ينهونم ، فسكوت علمائهم وعبادهم هو الذي سبب لهم التمادي

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) البخاري الإيمان (١٣) ، مسلم الإيمان (٤٥) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠١٦) ، ابن ماجه المقدمة (٦٦) ، أحمد (٢٧٢/٣) ، الدارمي الرقاق (٢٧٤٠) .

(٣) متفق عليه من حديث أنس : البخاري : كتاب الإيمان باب (٧) ، رقم (١٣) ، (٧٩/١) ، واللفظ له . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب (١٧) ، رقم (٤٥) ، (٢٠٦/١) .

(٤) سورة المائدة آية : ٦٣ .

في هذه المحرمات ؛ لأنهم لم يجدوا من يردعهم ويأخذ بأيديهم . ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [1] أي لبئس ما كان يصنع هؤلاء الربانيون والأحبار ، وهو السكوت عن المنكر ، ذمهم الله سبحانه وتعالى على هذا الصنيع ، وهو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وترك الناس يفسدون في الأرض ، ولا يبينون لهم ولا ينكرون عليهم ، فإن سكوت العلماء يجرئ الفسقة والسفهاء ، ويحملهم على التمادي ، فلذلك استحقوا لعنة الله عز وجل ؛ كما قال تعالى في هذه السورة : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [2] ، لعنهم الله سبحانه وتعالى ، واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل . لعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، وهذان نبيان من أنبياء بني إسرائيل ، أنزل الله لعنتهم على لسان هذين النبيين الكريمين ، والسبب هو ما ذكره بقوله : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [3] أي : أنهم كانوا يرى بعضهم بعضا على المعاصي ولا ينكر عليه ، فلما حصل منهم ذلك لعنهم وطردهم من رحمته سبحانه وتعالى ، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : ﴿ أن أحدهم يلقى الرجل على المعصية في طريقه فينهاه عن ذلك ، فيقول : يا فلان ، اتق الله ، إن ذلك لا يحل لك ، ثم يراه في اليوم الثاني فينهاه ، ثم يراه في اليوم الثالث فلا يكلمه بشيء ، ولا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وجليسه ، فلما رأى الله ذلك منهم ، ضرب قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على ألسنة أنبيائهم ﴾ [4] [5] .

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٣ .

(٢) سورة المائدة آية : ٧٩ .

(٣) سورة المائدة آية : ٧٩ .

(٤) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٤٧) ، أبو داود الملاحم (٤٣٣٦) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٠٦) .

(٥) كما في حديث ابن مسعود ، أخرجه أبو داود . كتاب الملاحم ، باب (١٧) ، رقم (٤٣٣٦) ، (٣٢٩/٤) . والترمذي : كتاب التفسير ، باب (٥) ، رقم (٣٠٥٦) ، (٢٥٢/٥) . وأخرجه ابن ماجه مرسلا عن أبي عبيدة : كتاب الفتن ، باب (٢٠) ، رقم (٤٠٠٦) ، (٣٦٠/٤) .

وقال ﷺ لهذه الأمة : ﴿ كلا ، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم ﴾ (١) (٢) .

وما ذكره الله -جل وعلا- عن أهل الكتاب من الذنب والوعيد ، نحن المخاطبون به من أجل أن نتجنب فعلهم وطريقهم ، فالله -جل وعلا- ما ذكر لنا في الكتاب من الذم والوعيد إلا من أجل أن نتجنب طريقهم ، ونحذر مما سبب لهم ذلك من المخالفات .

وقال في سورة الأعراف لما ذكر وصف النبي ﷺ في التوراة : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ﴾ (٣) يعني محمدا ﷺ ﴿ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٤) هذا من صفات هذا الرسول ﷺ أنه جاء إلى العالمين يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ومنهم أهل الكتاب .

ثم ذكر في هذه السورة أيضا قصة أصحاب القرية : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ (٥) أي : على ساحل البحر ، ومعلوم أن البحر فيه الصيد ، صيد الأسماك التي يأكل منها الناس لحما طريا ، كانت هذه القرية على ساحل البحر فأراد الله -جل وعلا- أن يمتحنهم بسبب ذنوبهم فحرم عليهم صيد السمك (الحيتان) يوم السبت ، فماذا فعلوا ؟ عملوا حيلة على أمر الله سبحانه وتعالى ، وذلك أنهم حفروا حفرا وجعلوا عليها الشباك ، فإذا جاء سمك في يوم السبت وقع في هذه الحفر ، وأمسكته

(١) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٤٧) ، أبو داود الملاحم (٤٣٣٦) ، ابن ماجه الفتن (٤٠٠٦) .
(٢) أخرجه أبو داود من حديث ابن مسعود السابق برقم (٤٣٣٦ ، ٤٣٣٧) .
(٣) سورة الأعراف الآيتان : ١٥٦، ١٥٧ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٧ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .

الشباك ، فإذا جاء يوم الأحد انتهى النهي ، فجاءوا وأخذوها ! ! وزعموا بذلك أنهم اجتنبوا المنهي عنه يوم السبت وما صادوا فيه ، وإنما وقعت في الحفر وصادته الشباك .

ومن الذي حفر الحفر ؟ ! ومن الذي نصب الشباك ؟ ! هل الله يخادع سبحانه وتعالى ؟ ! هذه حيلة على أمر الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ ﴾ [1] هذا من الابتلاء ، في يوم النهي تأتي الحيتان والأسماك كثيرة جدا مما يغريهم بالصيد ، فإذا جاء يوم الأحد اختفت الحيتان ، وهذا ابتلاء لهم ، لكنهم لم يجتنبوا المنهي عنه ، ولهذا قال : ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ [2] أي : نمتحنهم ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [3] .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [4] .

فهم انقسموا قسمين عند هذه الفعلة الشنيعة :

أ - قسم سكتوا ، ورأوا أنه لا فائدة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ ﴾ [5] .

ب - وقسم أنكروا هذا الشيء وحذروهم ، فقال الذين سكتوا للذين أنكروا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ ﴾ [6] قال الذين يأمرون

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .
(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٣ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٤ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٤ .
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٤ .

بالمعروف وينهون عن المنكر : ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [(١)] أي : لأنا قمنا بما أمرتنا به ، ولم نسكت ، ولعل الله يلقي في قلوبهم القبول للموعظة ، فلا ييأس الداعية من أن العاصي يقبل النصيحة وينتفع بها .

وأنت إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، أنت بين أمرين طيبين : إما أن تنفع نصيحتك ، وينقذ الله بك هذا العاصي وإما أن تبرأ ذمتك .

ولا تكن من الساكتين ؛ لأن السكوت على المعاصي لا يجوز .

فلما لم يقبلوا النصيحة وعتوا عما نهوا عنه ، أخبر الله عنهم أنهم ﴿ نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ ﴾ [(٢)] أي : ذكرهم به أهل النصيحة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و﴿ نسوا ﴾ : يعني : تركوا ، والنسيان يطلق ويراد به الترك ، وليس المعنى أنهم ذهلوا عنه وذهب من ذاكرتهم ، لكنهم تركوه عمدا ، فالنسيان يطلق على الترك كما قال الله تعالى : ﴿ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ ﴾ [(٣)] أي تركهم في العذاب ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ ﴾ [(٤)] : أي : تركوا . قال الله تعالى : ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ [(٥)] : وهم الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ ﴾ [(٦)] حين وقعوا في المنكر ، أخذهم الله ﴿ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [(٧)] حيث تمردوا عما نهوا عنه من المعصية ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [(٨)] حول

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٦٤ .
(٢) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٣) سورة التوبة آية : ٦٧ .
(٤) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٥) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٦) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٧) سورة الأعراف آية : ١٦٥ .
(٨) سورة الأعراف آية : ١٦٦ .

الله صورهم من صور آدميين إلى صور قردة ، عذابا لهم ، والعياذ بالله ، مسخهم الله هذا المسخ .

وأما الذين نهوا عن المنكر فأنجاهم الله عز وجل .

وأما الذين سكتوا ، فالله لم يذكرهم بشيء ، لا بنجاة ولا بلاك ، بل أخبر أنه أنجى الذين ينهون ، وأنه أهلك الذين عتوا عن أمر الله سبحانه وتعالى ، وأما المؤمنون الذين سكتوا فإن الله سكت عنهم ، لم يذكر في حقهم لا هلاكا ولا نجاة ، و الظاهر - والله أعلم - أنهم هلكوا مع الهالكين ؛ لأن الناس إذا رأوا منكرا ولم ينكروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده ، فإذا جاء العقاب عم الصالح والطالح ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ (١) فيأخذ العاصي بمعصيته ، ويأخذ الساكت بسكوته وعدم إنكاره .

وقال سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾ (٢) أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر بالمعروف ، فالأمر بالمعروف هو من سنة النبي ﷺ كما أنه من صفته في التوراة : أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عليه الصلاة والسلام .

وكذلك المؤمنون المقتدون به يقومون بهذا العمل العظيم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وقد بين النبي ﷺ أنهم في آخر الزمان يكونون غرباء ؛ فقال ﷺ : ﴿ بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء ﴾ (٣) (٤) قيل من هم يا رسول

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٩٩ .

(٣) مسلم الإيمان (١٤٥) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٨٦) ، أحمد (٣٨٩/٢) .

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب الإيمان ، باب (٦٥) ، رقم (١٤٥) ، (٣٥٤/١) . ونحوه عن ابن عمر (٣٧١) .

الله ؟ قال : ﴿ الذين يصلحون إذا فسد الناس ﴾ [(١)] [(٢)] وفي رواية : ﴿ الذين يصلحون ما أفسد الناس ﴾ [(٣)] [(٤)] فهؤلاء الغرباء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وخصوصا إذا كثر الفساد ، فإنم يقومون بالواجب ، ويصبرون على ما ينالهم من الأذى والاستغراب .

فالذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الآن ، تجد الناس يسفهونه ويلمزونه ، ويقولون : ما عنده عقل ، يتدخل في أمور الناس ، وليقولوا ما يقولون ؛ فإن هذا لن يؤثر عليه ؛ لأنه لا بد أن يعلم أن طريق الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا بد فيه من عقبات ، والذي نيته لله لا يبالي بذا الكلام ، ولا يتراجع عن القيام بذه الفضيلة ، أما الذي تكون نيته الرياء ، أو حظوظ الدنيا ، فهذا سرعان ما يتراجع إذا سمع مثل ذلك .

وقال تعالى في وصف المؤمنين في سورة التوبة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [(٥)] .

ذكر أول صفات المؤمنين أنم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأن هذين الأمرين يقوم بما الرجال والنساء ، وليس هو خاص بالرجال ، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [(٦)] يعني : يحب بعضهم بعضا وينصره ، مأخوذ من الولاية ،

---

(١) أحمد (٧٤/٤) .

(٢) أخرج هذه الزيادة من سياق آخر عبد الله بن أحمد من حديث عبد الرحمن بن سنة : برقم (١٦٨١٠) ، (٧٠٧/٥) في زوائد المسند .

(٣) الترمذي الإيمان (٢٦٣٠) .

(٤) أخرج هذه الزيادة الترمذي : كتاب الإيمان ، باب (١٣) ، رقم (٢٦٣٥) ، (١٨/٥) من سياق آخر .

(٥) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٦) سورة التوبة آية : ٧١ .

وهي : الحب والنصرة والمؤازرة ، فـ ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ﴾ [(١)] [(٢)] وأما التفكك فهذا من صفات المنافقين ، أما المؤمنون فبعضهم أولياء بعض ، جسد واحد وبنيان واحد ، يتناصحون ، يتآمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر ، ويصلح بعضهم فساد بعض ؛ حتى يسلم البناء والجسد من الدخيل .

وهذا الأمر عام للرجال والنساء : الرجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والنساء يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر ، كل بحسب استطاعته ، فالمرأة مع أخواتا وجاراتا ، ومن تجتمع بن ، وفي بيتها ، ولا يسعها السكوت فهي مؤمنة ، لا بد أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بحسب استطاعتها .

وجزاء هؤلاء ما أخبر به الله -جل وعلا- بقوله : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [(٣)] .

بخلاف حال المنافقين فإن الله ذكرهم في الآية التي قبل هذه بقوله : ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ ﴾ [(٤)] ، فمن صفاتم : أنم يأمرون بالمنكر : أي بالمنكرات والمعاصي والفساد ، واتباع الشهوات ، يأمرون بالإباحية ، ويأمرون بكشف العورات وينهون عن الستر ، ينهون عن الحجاب ، ينهون عن الصلاة وحضور المساجد ، ينهون عن الطاعات ، يثبطون عن الخير ، هذه صفات المنافقين : ﴿ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾ [(٥)] فهم يأمرون بجميع المعاصي والفساد ، ويدعون إليه ويرغبون فيه ، وينهون عن المعروف ، وعن الطاعات ويقللون من أهميتها مهما استطاعوا ، هذه مهمة المنافقين .

---

(١) البخاري الصلاة (٤٦٧) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، الترمذي البر والصلة (١٩٢٨) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري (رقم ٤٨١) ومسلم (رقم ٢٥٨٥) .

(٣) سورة التوبة آية : ٧١ .

(٤) سورة التوبة آية : ٦٧ .

(٥) سورة التوبة آية : ٦٧ .

وقوله : ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [(١)] : بمعنى أنهم بخلاء لا يخرجون الزكاة ، لا يتصدقون على المحتاجين ، لا ينفقون في وجوه الخير ، فمن صفاتهم قبض الأيدي عن الإنفاق .

وكذلك أنهم ﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ [(٢)] : فلم يقوموا بطاعته سبحانه وتعالى وبعمل ما أمرهم به ، نسوا العمل الصالح الذي يقربهم إلى الله ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [(٣)] : يعني : تركهم وأهملهم ، ولم يعبأ بهم عقوبة لهم ، لما أعرضوا عن الله أعرض الله عنهم ؛ لأن الجزاء من جنس العمل .

وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [(٤)] أي : الخارجون عن طاعة الله وعن دينه وشرعه ، سجل الله عليهم هذه الصفات القبيحة .

فتبين من هذا أن من صفات المنافقين : أنهم يأمرون بالمنكر ، ويحسنون المعاصي للناس ، ويدعونهم إليها ، ويزينونها لهم ، ويقولون : هي الرقي والحضارة والتقدم ! فأما العبادات والطاعات فهذه معوقات عن التقدم وعن الرقي وعن الحضارة ! ! هذا بزعمهم وهذا كلامهم الآن .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات أهل البيعة مع الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٧ .
(٢) سورة التوبة آية : ٦٧ .
(٣) سورة التوبة آية : ٦٧ .
(٤) سورة التوبة آية : ٦٧ .
(٥) سورة التوبة آية : ١١١ .

قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (١) المشتري في هذه البيعة هو الله سبحانه وتعالى ، والبائع هو المؤمن ، والسلعة هي الأنفس والأموال ، والثمن هو الجنة ، والجنة أعظم المطالب ، والساعي في هذه البيعة هو رسول الله ﷺ .

وقوله : ﴿ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (٢) ﴿ فيقتلون ﴾ : الكفار ، ﴿ ويقتلون ﴾ : يستشهدون في سبيل الله .

وقوله : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ (٣) : سجلت هذه البيعة في الكتب الثلاثة ، وهذه أعظم الكتب ، وهذه وثيقة البيع ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ (٤) الجواب : لا أحد أوفى بعهده من الله سبحانه وتعالى ، فلا يخافون نقض البيع أو نقص الثمن ، فالله جل وعلا هو أوفى من يتعاقد معه سبحانه وتعالى ؛ ﴿ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٥) .

ثم قال في صفاتم : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٦) فذكر من صفاتم ﴿ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٧) : وهذا يدل على عظم م لة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) سورة التوبة آية : ١١١ .
(٢) سورة التوبة آية : ١١١ .
(٣) سورة التوبة آية : ١١١ .
(٤) سورة التوبة آية : ١١١ .
(٥) سورة التوبة آية : ١١١ .
(٦) سورة التوبة آية : ١١٢ .
(٧) سورة التوبة آية : ١١٢ .

والله سبحانه وتعالى عده مع هذه الأوصاف العظيمة ، فكيف يأتي من يهون من شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ذلك ! ويقول : هذا تدخل في أحوال الناس تتبع للعثرات ، وتتبع لعورات الناس ! ! فيشوهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه الأمور .

وذكر -سبحانه وتعالى - في آخر سورة هود الأمم وما حل بهم من الهلاك ، وقص قصصهم ، ثم قال : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [1] فلولا كان في هذه الأمم التي أهلكها الله من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى لا يصيبهم ما حل بهم من هذا الدمار ، فالسبب الذي أهلكوا به هو أنه ليس فيهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [2] فدل على أن الذي ينجو هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أما غيرهم فقد قال عنهم : ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [3] ، نسأل الله العافية ، ولذلك حلت بهم العقوبات التي ذكرها الله تعالى في سورة هود ، والتي تشيب النواصي ، وتفلذ الأكباد ، لو أن هناك من يصغي لكلام الله سبحانه وتعالى .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [4]

قوله : ﴿ بظلم ﴾ : يعني : بالمعاصي والمخالفات ، ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [5] أي : لو كان فيها من يصلح ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لدفع الله عنهم العذاب ، أي : لا يهلكها إلا بانتشار المعاصي وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فدل على أن وجود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة ، ضمان من وقوع العذاب ، وأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤذن بوقوع العقاب العاجل .

---

(١) سورة هود آية : ١١٦ .
(٢) سورة هود آية : ١١٦ .
(٣) سورة هود آية : ١١٦ .
(٤) سورة هود آية : ١١٧ .
(٥) سورة هود آية : ١١٧ .

ما أهلك الله أمة من الأمم إلا بسبب أنه ليس فيهم رشيد يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر .

وقال تعالى في سورة الحج : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝ ﴾ [1] فمن اتصفوا بهذه الصفات مكنهم الله في الأرض وأقام لهم دولتهم .

وهذه الصفات هي : ﴿ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ ﴾ [2] : انظر كيف قرن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الصلاة والزكاة ، فكيف يأتي من يهون من هذا الجانب ! والله قرنه بالصلاة والزكاة ، والله أقسم ووعد على هذه الصفات ، بالنصر والتمكين في الأرض لمن اتصفوا بها ، فقال : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾ [3] ، وهذا وعد من الله جل وعلا ، ومعنى : ﴿ يَنصُرُهُۥٓۚ ﴾ [4] أي : يطيعه ويفعل ما أمره به ويترك ما نهى عنه ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته في الأرض ، ومعنى نصرة الله له : أنه يؤيده ويعليه ويمكن له ، وينصره على عدوه . وقوله : ﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝ ﴾ [5] : أي : كلها بيد الله سبحانه وتعالى ، فهو يعامل الناس بحسب أعمالهم ، فمن عامل الله معاملة حسنة ، فأقام الصلاة وآتى الزكاة ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، نصره الله ، ومكنه في الأرض ، ومن ضيع هذه الأمور ، ضيعه الله سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الحج الآيتان : ٤٠، ٤١ .
(٢) سورة الحج آية : ٤١ .
(٣) سورة الحج آية : ٤٠ .
(٤) سورة الحج آية : ٤٠ .
(٥) سورة الحج آية : ٤١ .

وقال في سورة النور : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١) وعد الله الذين آمنوا بذه الوعود العظيمة : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٢) يجعل الخلافة لهم على الناس ، ﴿ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾ (٣) بشرط : ﴿ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ (٤) : فمن وفى لله -سبحانه وتعالى- وفى الله له ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٥) وقد عرفنا أن من عبادة الله : إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، هذا من عبادة الله سبحانه وتعالى .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قرين الصلاة والزكاة في كتاب الله ﷻ فمن قام به مع الصلاة والزكاة فإن الله يمنحه هذه الوعود العظيمة .

وفي وصايا لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ ﴾ (٦) يأتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع إقامة الصلاة في عدة مواضع .

في أكثر الآيات التي مرت يأتي بعد الأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر مع الصلاة والزكاة ، ولم يكتف بالأمر بالمعروف ؛ بل لا بد من النهي عن المنكر ، فلا يكفي أنك

---

(١) سورة النور آية : ٥٥ .
(٢) سورة النور آية : ٥٥ .
(٣) سورة النور آية : ٥٥ .
(٤) سورة النور آية : ٥٥ .
(٥) سورة البقرة آية : ٤٠ .
(٦) سورة لقمان آية : ١٧ .

تقول للناس : صلوا ، وحجوا ، واعتمروا ؛ بل لا بد أن تقول لهم : اتركوا ما نهاكم الله عنه من الذنوب والمعاصي ، والسيئات والمخالفات العامة والخاصة ، تنهاهم عن الزنا ، وعن السرقة ، وعن شرب الخمر ، وعن ترك الصلاة ، وكل المخالفات ، فلم يكتف الله بالأمر بالمعروف ؛ بل قرن معه النهي عن المنكر ؛ لأنه لا يصلح هذا إلا بذا ، فدل على أنما أمران متلازمان ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن من الناس من يعمل أعمالا كثيرة من الخير ، لكنه يخلطها بالشر والمعاصي ، وربما تحبط أعماله بسببه ذلك ، ربما رجحت سيئاته على حسناته ، فيهلك يوم القيامة ، فلا يكفي أنك تأمر بالمعروف ، وتحث الناس على الخير ، بل لا بد بجانب ذلك أنك تنهى الناس عن المنكر وعن الشر .

وقد يفرد أحدهما مراعاة لمقتضى الحال ، فيدخل فيه الآخر كقوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ (1) ، وقال : ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ ﴾ (2) ؛ وذلك لأن الأمر والنهي متلازمان ، فالأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ، والنهي عن الحرام أمر بأخذ الحلال .

وسورة العصر يقول الله -سبحانه وتعالى- فيها : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ (3) أي : كل إنسان ، ما استثنى أحدا ، لا الملوك والصعاليك ، ولا الأحرار ولا العبيد ، ولا الذكور ولا الإناث ، ولا العرب ولا العجم ، كل الناس خاسرون إلا من اتصف بأربع صفات فإنه ينجو من هذه الخسارة :

الصفة الأولى : الإيمان بالله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (4) أي : آمنوا بالله -سبحانه وتعالى- إيمانا صحيحا جازما ، ويدخل فيه توحيد الألوهية ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ، وبعبادته حق العبادة ، ولا بد مع ذلك

(1) سورة الأعراف آية : ١٩٩ .
(2) سورة المائدة آية : ٧٩ .
(3) سورة العصر آية : ٢ .
(4) سورة العصر آية : ٣ .

من العلم ؛ لأن الإيمان يقوم على العلم ، ولا يصلح إلا بالعلم والتعلم ، وتعلم العلم يدخل في قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [(١)] ؛ لأن الإيمان لا يقوم إلا على العلم ، والمراد بالعلم هنا : العلم بالله سبحانه وتعالى وشرعه .

الصفة الثانية : ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [(٢)] : أي الطاعات الواجبة والمستحبة .

الصفة الثالثة : التواصي بالحق ، هذا هو محل الشاهد : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ ﴾ [(٣)] : والمراد به هنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الصفة الرابعة : التواصي بالصبر ، هذا هو محل الشاهد : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ٣ ﴾ [(٤)] : لما كان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يتعرض لأذى الناس ولمضايقاتهم ، ويلقى من الناس اللوم والتوبيخ ، أو التهديد ، أو غير ذلك من المعوقات ، كان لا بد له من صبر على ما يلقى ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [(٥)] .

هذه أمثلة من الآيات القرآنية التي تتناول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) سورة العصر آية : ٣ .
(٢) سورة العصر آية : ٣ .
(٣) سورة العصر آية : ٣ .
(٤) سورة العصر آية : ٣ .
(٥) سورة لقمان آية : ١٧ .

٣- مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

جاءت السنة المطهرة فبينت مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنها تبين القرآن وتوضحه ، فقال ﷺ : ﴿ من رأى منكم ﴾ [١] : وهذا كلام عام لجميع المؤمنين ، ﴿ منكرا ﴾ أي منكر ، لم يخصه بمنكر معين ؛ بل قال : (منكرا) ، وهذا نكرة فيعم كل منكر ، ﴿ فليغيره بيده ﴾ [٢] ، أي : يزيله بيده ، ﴿ فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [٣] [٤] . فجعل الناس إزاء المنكر ثلاثة أقسام :

قسم له سلطة ومقدرة ، فيزيل المنكر بيده ، وهو السلطان أو نائبه ، أو رجال الحسبة الذين وكل إليهم ولي الأمر هذا الشأن ، وكذلك صاحب البيت له يد على أهل بيته ، لا أحد يعترض عليه ، حتى السلطان لا يعترض على صاحب البيت في بيته . فصاحب البيت له سلطة ويد ، ولهذا قال ﷺ : ﴿ مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع ﴾ [٥] [٦] وقول

---

(١) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (٥٤/٣) .

(٢) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (١٠/٣) .

(٣) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (١٠/٣) .

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد ، وقد تقدم تخريجه .

(٥) أبو داود الصلاة (٤٩٥) ، أحمد (١٨٧/٢) .

(٦) أخرجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أحمد : برقم (٦٧٥٣) ، (٢٤٨/٢) . وأبو داود : كتاب الصلاة ، باب (٢٦) رقم (٤٩٥) ، (٢٣٩/١) وأخرجه الترمذي بنحوه من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده : كتاب الصلاة ، باب (١٨٢) ، رقم (٤٠٧) ، (٢٥٩/٢) .

الله تعالى : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ [(١)] ، ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا ﴾ [(٢)] .

وولي الأمر له سلطة ، فيغير المنكر بيده ، ولا أحد يعترض عليه ؛ لسلطته .

المرتبة الثانية : إذا كان الإنسان ليس عنده سلطة ؛ بل هو من سائر الناس ، فهذا ينكر المنكر بلسانه ، بمعنى أنه ينصح ويعظ ويذكر ، ويبين للناس أن هذا لا يجوز على سبيل العموم ، ويبين للواقع في الخطأ سرا فيما بينه وبينه ، كأن يقول : لا ينبغي منك هذا يا فلان ، وأنت رجل طيب ، من أسرة طيبة ، ولا يليق بك هذا ، ولا يناديه أمام الناس ، لكن فيما بينه وبينه .

ومن الإنكار باللسان : تبليغ ولاة الأمور عن المنكرات ، وكذلك الإنكار بالقلم ، بأن يكتب الإنسان في الصحف والمجلات ، يحذر الناس من المعاصي والمنكرات ، فهذا من الإنكار باللسان .

المرتبة الثالثة : إذا لم يستطع أن يتكلم ، بأن يكون ليس عنده علم ، ولا يعرف الحلال والحرام ، أو عنده علم لكن منعه من الكلام مانع ، فهذا ينكر المنكر بقلبه ، ويبغضه ، ويبتعد عن أهله ، ولا يجالسهم ، ويؤاكلهم ، ويشاربهم ، ويضحك معهم ، كما فعله بنو إسرائيل .

قال ﷺ عن هذه المرتبة : ﴿ وذلك أضعف الإيمان ﴾ [(٣)] أي : الإنكار بالقلب أضعف الإيمان ، وفي رواية : ﴿ وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ﴾ [(٤)] [(٥)] فمن لم ينكر المنكر ولا بقلبه ، هذا ليس عنده إيمان ؛ لأنه لو كان عنده إيمان ولو كان ضعيفا ؛

---

(١) سورة طه آية : ١٣٢ .
(٢) سورة التحريم آية : ٦ .
(٣) مسلم الإيمان (٤٩) ، الترمذي الفتن (٢١٧٢) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٥٠٠٩) ، أبو داود الصلاة (١١٤٠) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥) ، أحمد (١٠/٣) .
(٤) مسلم الإيمان (٥٠) .
(٥) تقدم تخريجه .

لأنكر المنكر بقلبه على الأقل ، وإذا أنكر المنكر بقلبه ابتعد عن أهله ، وعن مجالستهم ؛ لئلا يصيبه ما أصابهم .

والله تعالى أعلم . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

صحيح البخاري

صحيح مسلم

مسند الإمام أحمد بن حنبل

سنن أبي داود

سنن الترمذي

سنن النسائي

سنن ابن ماجه

سنن البيهقي

مستدرك الحاكم

المعجم الأوسط للطبراني

مصنف ابن أبي شيبة

صحيح ابن حبان

صحيح الجامع للألباني

تفسير الطبري

تفسير ابن أبي حاتم

شعب الإيمان للبيهقي

الحلية لأبي نعيم

كتاب الزهد للإمام أحمد

مدارج السالكين للإمام ابن القيم

النونية للإمام ابن القيم

جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس